روايات مصرية للجيب

قضية قطار الرعب

سلسلة الفانتازيا بوليسية مثيرة للناشئين

١ ــ الحــادث ..

قفز الصحفى (عصام كامل) من فراشه ، على رنين الهاتف المجاور له ، واختطف سمَّاعته ؛ ليضعها على أذنه ، وهو يقول فى صوت ناعس قلق :

ــ من المتحدِّث ؟

أتاه صوت رئيس قسم الحوادث الذى يعمل فيه ، وهو يهتف فى لهفة واهتمام :

ــ (عصام) .. هل أيقظتك ؟. من حسن الحظ أن وجدتك فى منزلك .. إننى أريدك فى عمل عاجل .

تطلَّع (عصام) إلى ساعته ، التى أشارت عقاربها إلى الثالثة والنصف صباحًا ، وهتف فى سخط :

ــ هل تعلم كم الساعة الآن ؟

صاح رئيس القسم فى لهفة :

ــ هذا لا يهم الآن يا (عصام) .. أيًا كان الوقت ، وأيًا كانت متاعبك ، ستترك كل شىء ، وتنطلق على الفور لتغطية

حادث خطير لقطار الصعيد ؛ فقد انقلبت عربتان منه قبل عشرة كيلومترات من وصوله إلى (الجيزة) .. إنه حادث بالغ الخطورة يا (عصام) ، وليس لدينا من هو أفضل منك لتغطيته .

اعتدل (عصام) ، وطارت بقايا النوم من عينيه ، وهو يقول فى اهتمام :

ــ وكيف سأصل إلى هناك ؟.. إننى لن أجد سيارة أجرة واحدة و ....

قاطعه رئيس القسم فى لهفة :

ــ لقد أرسلت إليك (حامد) بسيارة الجريدة ، وسيصلك بعد لحظات .. المهم أن تنطلق من فورك إلى هناك .

لم يكد الرجل يتم عبارته ، حتى شقَّ صوت نفير سيارة الجريدة سكون الليل والمنطقة ، فهتف (عصام) فى حماس :

ــ لقد وصل ، وسننطلق على الفور ، قبل أن تلقى الشُرطة القبض علينا ، بتهمة الإزعاج .

صاح رئيس القسم محذرًا :

ــ أريد تغطية كاملة يا (عصام) . لا تهمل أية تفاصيل .

قال (عصام) فى حزم ، قبل أن ينهى المكالمة :

ــ اطمئن .

ثم أسرع يرتدى ملابسه ؛ ليبدأ مهمته الجديدة ..

* * *

كان الحادث حقًا بشعا بالغ الخطورة ، راح ضحيته العشرات من ركّاب العربتين الأخيرتين من القطار ، اللتين انفصلنا بغتة ، فى أثناء دوران القطار فى منحنى متوسط الميل ، فخرجتا عن القضبان ، وانقلبتا بركابهما ..

وكانت هناك العشرات من جثث قتلى الحادث ، والعشرات من الجرحى ، وازدحم المكان برجال الشُرطة ، وخبراء السكك الحديدية ، وعربات الإسعاف ، وعربات نقل الموتى ..

كان حادثًا خليقًا بأن يثير الرأى العام لأشهر عديدة ..

ووسط كل هذا الخِضمّ والاضطراب ، اتجه (عصام) إلى ثُلّة من رجال الشُرطة ، يقومون باستجواب سائق القطار ، الذى بدا منهارًا متوتّرًا ، وهو يهتف :

ــ أُقسم أننى كنت أسير بالسرعة المقرّرة .. إننى لا أتجاوزها قط .

سأله أحد رجال الشرطة فى اهتمام :

ــ متى شعرت بوقوع الحادث ؟

أجابه الرجل فى اضطراب واضح :

وكانت هناك العشرات من جثث قتلى الحادث، والعشرات
من الجرحى، وازدحم المكان برجال الشرطة ..

ـ فور حدوثه يا حضرة الضابط ، فانفصال العربتين قلّل من الحمولة كثيرًا ، مما زاد من سرعة القطار على نحو مباغت ، نبّهنى إلى حدوث خلل مًا ، ولما نظرت إلى الخلف ، رأيت ذلك الحادث البشع .

التفت ضابط الشرطة إلى أحد خبراء السكك الحديدية ، وسأله :

ـ هل يمكن أن يحدث ذلك مع زيادة السرعة ؟

أجابه الخبير بعد وهْلة من التفكير :

ـ هذا جائز ، ولكنه لا يؤدى عادةً إلى انفصال العربتين تمامًا ، إلا إذا لم تكن الوصلات مُحكمة بين العربات ، وهذا ما سيحدّده فحصنا لها .

تدخّل (عصام) قائلًا :

ـ كم يبلغ عدد ضحايا الحادث ؟

التفت إليه أحد رجال الشرطة ، قائلًا فى صرامة :

ـ أستاذ (عصام) .. ليس هذا وقت إلقاء مثل هذه الأسئلة .. التقط صور الحادث كما تشاء ، ولكن لا تتدخّل فى عملنا .. أرجوك .

حاول (عصام) أن يبتسم ، وهو يقول :

ـــ ولكن القراء يريدون دائما الاطلاع على كل الحقائق و ....

قاطعه ضابط الشرطة فى حَنَق :

ـــ ليس الآن يا أستاذ (عصام) .. إننا نحقّق فى حادث بالغ الخطورة .. اذهب إلى مشرحة (زينهم) .. إذا أردت الحصول على عدد الضحايا ، واتركنا نزاول عملنا .. أرجوك .. أرجوك يا أستاذ (عصام) .

زفر (عصام) فى ضيق ، وأعد آلة التصوير لالتقاط صور الحادث ، وهو يقول :

ـــ سأذهب يا حضرة الضابط .. ثِقْ أننى سأذهب .. لقد طلبتُ الجريدة تغطية كاملة للحادث ، وسأمنحهم ما يريدون بالضبط .

وبدأ يلتقط الصور فى هدوء ..

* * *

كانت النظرة الأولى للمشرحة تشفّ عن حالة الطوارئ داخلها ، فقد تم استدعاء كل طاقم الأطباء الشرعيين ، وازدحم المكان بهم ، وبرجال الإسعاف ، الذين ينقلون جثث الضحايا إلى الداخل ، وبدا (عصام) ضائعا وسط هذا الحشد ، حتى

التقطت عيناه وجهًا مألوفًا ، لطبيب شرعى شاب ، فأسرع إليه قائلًا :

ـــ دكتور (على) .. هل تذكـــرنى ؟.. أنـــا (عصام كامل) ، من قسم الحوادث بجريدة الـ ....

قاطعه الدكتور (على) فى ضجَر :

ـــ مرحبًا يا أستاذ (عصام) .. إننى أذكرك بالطبع ، وأتابع مقالاتك فى شغَف ، ولكن يؤسفنى ألا أستطيع معاونتك فى الوقت الحالى ، فأنت ترى كم نحتاج إلى كل دقيقة للعمل .

أنهى عبارته ، واتجه فى خطوات سريعة إلى إحدى قاعات المكان ، فأسرع خلفه (عصام) ، وهو يسأله فى لهفة :

ـــ ألا يمكنك أن تخبرنى بعدد الضحايا على الأقل ؟

لوّح الدكتور (على) برأسه فى أسف ، وهو يقول :

ـــ ومن يمكنه ذلك يا أستاذ (عصام) ؟.. إنه حادث رهيب ، وهأنتذا ترى عدد الجثث ، التى يمتلئ بها المكان .. انظر هناك .. ستجد جثة رجل مصاب بتحطُّم فى جمجمته ، وهذا آخر سقطت العربة فوقه ، وذاك ثالث ....

وبتر عبارته فجأة ، وهو يحدّق فى الجثة الثالثة بدهشة ، ثم اتجه نحوها بخطوات سريعة ، وهو يغمغم :

ـــ هل هذا معقول ؟!

أسرع (عصام) خلفه ، وهو يسأله فى لهفة :

ـــ ماذا هناك يا دكتور (على) ؟.. ما عيب هذه الجثة بالذات ؟

لم يبد على الدكتور (على) أنه يسمعه ، بل تركّزت حواسّه كلها على الجثة ، التى راح يفحصها فى اهتمام وعناية بالغين ، وبقلق لم يجد له (عصام) مُبرّرًا ..

كانت الجثة لرجل فى أوائل الخمسينات من عمره ، أسمر البشرة ، داكن الوجه ، على عكس باقى جسده ، أشيب الشعر قصيره ، له شارب ضخم مفتول ...

وعاد (عصام) يكرّر سؤاله فى اهتمام :

ـــ فيم تختلف هذه الجثة عن الأخريات يا دكتور (على) ؟

اعتدل الدكتور (على) ، وحدجه لحظة بنظرة خاوية ، ثم أشار إلى الجثة ، قائلا فى اهتمام :

ـــ هل ترى تلك الزُرقة التى تملأ الوجه والعُنق ، والتى تجعلهما أكثر دُكْنَةً من باقى الجسد ؟

غمغم (عصام) فى اهتمام :

ـــ نعم .. لقد لاحظت ذلك .

أشار الدكتور (على) إلى العنق ، وهو يقول فى حماس :

ـــ انظر إلى العنق إذن ، وستجد خطًا وهميًا يفصل ما بين الأجزاء الشديدة الدُكْنة ، وتلك الأقل .. هل تراه ؟

غمغم (عصام) فى دهشة :

ـــ نعم .. إنه يبدو واضحًا ، ولكن ما الذى يعنيه هذا ؟

عقد الدكتور (على) حاجبيه ، وهو يقول فى ثقة وحزم :

ـــ يعنى ببساطة أن هذا الرجل لم يلق حتفه فى الحادث يا أستاذ (عصام) .

هتف (عصام) فى دهشة :

ـــ ماذا ؟

استطرد الدكتور (على) ، بنفس الحزم والصَّرامة :

ـــ نعم .. لقد تعرَّض هذا الرجل لحادث منفرد .. حادث قتل مع سبْق الإصرار والترصُّد .

* * *

٢ ــ الجـريمة ..

حدَّق الدكتور (سلطان) ، رئيس مصلحة الطب الشرعى ، فى وجه الدكتور (على) بنظرةٍ صارمة قاسية ، وهو يقول فى حَنَق :

ــ هذا ما كان ينقصنا !.. جريمة قتل مع سبق الإصْرار .

ثم استطرد فى غضب :

ــ من أوحى إليك بهذا الخاطر السخيف ؟

أجابه الدكتور (على) فى إصرار :

ــ الزُرقة فى منطقة الرقبة والعنق يا سيِّدى ، وذلك الخط الغائر حول العنق .. لقد خُنِق الرَجل عمدًا ، وقبل الحادث بنصف ساعة تقريبًا .

هتف الدكتور (سلطان) ساخطًا :

ــ وكيف أمكنك الجزم بذلك ؟

أجابه فى اهتمام :

ــ توجد زُرْقة واضحة فى منطقة الفخذين والأرداف يا سيِّدى ، وهذا يعنى أن الرجل ظلَّ جالسًا بعد مصرعه ، لمدة

لا يمكن أن تقل عن نصف السَّاعة .. ولمَّا كانت العربتان قد انقلبتا إثر الحادث ، فمن المستحيل أن يظل أحد الضحايا جالسًا ، ولو أنه لقى حتفه فى الحادث ، لشملت الزَّرقة ظهره كله ، وليس منطقة الأرداف والفخذين فحسب .

عقد الدكتور (سلطان) حاجبيه مفكِّرًا ، ثم عاد يهتف فى سخط :

ــ قد يكون قد استند بظهره إلى جثة أخرى بعد مصرعه ، فبدا فى وضع أقرب إلى الجلوس .

هتف الدكتور (على) فى إصرار :

ــ وماذا عن علامات الخنق الواضحة ؟

صاح به الدكتور (سلطان) فى غضب :

ــ كوفيَّة التفت على عنقه فى أثناء الحادث يا دكتور (على) .. لقد رأيت فى الحوادث ما هو أكثر غرابة من ذلك .

هزَّ الدكتور (على) رأسه نفيًا فى إصْرار ، وهو يقول فى عنادٍ :

ــ مستحيل يا سيِّدى .. لو أن هذا ما حدث بالفعل ، لاقتصرت آثار الخنْق على الجزء الأمامى من العُنق ، ولَمَا حدثت الزُرقة بهذا العُمق .

عاد الدكتور (سلطان) يعقد حاجبيه ، وبغضبٍ هذه المرة ، وهو يقول فى صرامة :

ــ اسمع يا دكتور (على) .. إن العمل الذى لدينا هنا ، سيحتاج إلى يومين على الأقل ، مع وجود فريق الأطباء كلّه ، لإنجازه ، ووضع تقرير شامل عن كل جثة ، ولا تحاول تعقيد الأمور ، بأكثر مما هى معقَّدة ، فالأمر لا يحتمل ذلك .

تدخَّل (عصام) ، قائلًا فى استبكار :

ــ ولكنها جريمة قتل يا دكتور .

صاح الدكتور (سلطان) فى غضب :

ــ أعطنى دليلًا واحدًا لا يقبل الشك ..

ثم استطرد فى حَنَق :

ــ إننى لن أبلغ رجال الشُرطة عن وقوع جريمة قتل ، وسط حادث راح ضحيته العشرات .. إن هذا يزيد من متاعب الجميع بلا طائل .

هتف (عصام) فى توتُّر :

ــ وهل نترك القاتل طليقًا لمجرَّد أن ....

قاطعه الدكتور (سلطان) فى ثورة :

ــ لا تتدخَّل يا أستاذ (عصام) .. إنه عملنا نحن .

ثم لوَّح فى وجهه بسبابته ، وهو يصيح منذرًا :

ــ وأحذِّرك من الإشارة إلى ذلك فى صحيفتك .. إنك بهذا ستُعقِّد الأمور بلا جدوى ، وسأنفى أيَّة كلمة تكتبها عن حادث القتل المزعوم هذا .

وأسرع ينصرف بخطوات غاضبة ساخطة ، فالتفت (عصام) إلى الدكتور (على) ، يسأله فى اهتمام :

ــ هل توافق على ذلك ؟

بدا الأسف على وجه الدكتور (على) ، وهو يقول :

ــ وماذا يمكننى أن أفعل ؟.. إنه رئيسى ، وهو أكثر خبرة منِّى ولن يمكننى وحدى أن ....

قاطعه (عصام) فى حزم :

ــ ولكنه ليس رئيسى أنا .

تطلَّع إليه الدكتور (على) بنظرة دهشة ، ثم مال نحوه يسأله فى لهفة :

ــ وماذا يمكنك أن تفعل ؟

أجابه (عصام) فى إصرار :

ــ سأسعى خلف الحادث بنفسى .

عاد الدكتور (على) يسأله فى لهفة :

ـ كيف ؟.. هل يمكننى معاونتك ؟

أجابه (عصام) فى اهتمام :

ـ لست أدرى حتى الآن كيف .. أما بالنسبة للمعاونة ، فأعتقد أن ذلك ممكن وضرورى ، وكل ما عليك هو أن تخبرنى بالنتائج التى تتوصَّل إليها أولًا فأوَّلا .

سأله الدكتور (على) فى حماس :

ـ بالطبع .. سأفعل ذلك ، ولكن كيف أتصل بك ؟

أجابه (عصام) فى حزم :

ـ اترك مهمة الاتصال لى ، وسأتصل بك هاتفيًا ، كلما انتقلت من خطوة إلى أخرى ، أما الآن فأنا احتاج إلى صورة واضحة لوجه القتيل .

هتف الدكتور (على) فى حماس :

ـ يمكنك الحصول عليها على الفور ، ولكن كيف يمكنها أن تفيدك ؟

صمت (عصام) لحظة ، ثم هزَّ كتفيه وهو يقول :

ـ ستفيد بالتأكيد ..

ثم عاد إلى صمته لحظة أخرى ، قبل أن يردف فى ثقة وهدوء :

ـ ستفيد فريق (ع×٢) كله .

* * *

أما الآن فأنا أحتاج إلى صورة واضحة لوجه القتيل ..

٣ ــ الفــريق ..

كانت المفاجأة سارة لـ (عمـاد) و (عُلا) ، أن يجدا (عصام) فى انتظارهما ، أمـام باب مدرستهمـا ، فى الثامنـة صباحًا ، فتهلّلت أساريرهما وهما يصافحانه فى حرارة ، وهتفت به (عُلا) فى مرح :

ــ إنها قضية جديدة .. أليس كذلك ؟

ابتسم (عصام) ، وهو يقول :

ــ بلى .. ولكنها قضية تختلف عن كل ما سبقها .. قضية خاصة .

وشرح لهما الأمر كله بسرعة ، وبكل التفاصيل كالعادة .. ولم يكد ينتهى حتى تبادل (عماد) و (عُلا) نظرتهما الغامضة القلقة ، قبل أن يسأله (عماد) فى اهتمام :

ــ وما خُطّتك لتتبع الأمر يا أستاذ (عصام) ؟

مطّ (عصام) شفتيه فى حَيْرة ، وهو يقول :

ــ لست أدرى بعد ، فلقد كانت ثياب القتيل خالية تمامًا

من أى شىء ، يمكنه أن يشير إلى شخصيته .. لا بطاقة شخصية ، أو أوراق ، أو حتى تذكرة قطار أو نقود .. لم يكن هناك شىء بالمرّة .

قال (عماد) :

ــ هذا يؤكـد حدوث جريمة قتـل عمـد يا أستـاذ (عصام) ، فلو أنه قُتل فى حادث القطار ، لوجدت فى ثيابه تذكرة القطار والنقود على الأقل ، فلا أحد يسافر بدون نقود ، حتى ولو لجأ إلى التحايل ، حتى لا يحصل على تذكرة قطار .. ولو أنه قُتل بغرض السرقة ، لحصل اللّص على النقود وحدها ، وترك التذكرة والأوراق .. إن خُلوّ ثيابه من كل هذه الأشياء يؤكّد أنـه قد قُتـل عمـدًا ، وأن الفاعـل قد حصل على كل أوراقه ، حتى يصعب تحديد هويّته .

تدخّلت (عُلا) قائلة :

ــ ولكن كيف يمكن أن يُقتل داخل قطار ، دون أن يشعر باقى الرّكاب بذلك ؟

أجابها (عصام) :

ــ إنه واحد من قطارات الدرجة الثالثة ، وفى معظم هذه القطارات تكون المصابيح محطّمة أو معطّلة ، وفى ذلك الوقت

المتأخر من الليل يسود الظلام تمامًا داخل القطار ، فيما عدا لحظات وقوفه بالمحطات ، حيث تضيئه أنوار المحطة نفسها .

غمغمت (عُلا) فى حَيْرة :

ــ هذا يزيد الأمر تعقيدًا ، فقطار الصعيد يبدأ رحلته من (أسوان) ، وينهيها فى (القاهرة) ، والبحث عن جريمة قتل مثل هذه يحتاج إلى البحث فى كل المحطات الرئيسية التى مرَّ بها القطار فى رحلته على الأقل .

أجابها (عصام) فى ضيق :

ــ هذا يحتاج إلى البحث فى عشر مدن على الأقل .. (أسوان) ، و (الأقصر) ، و (قوص) ، و (قنا) ، و (دشنا) ، و (نجع حمادى) ، و (سوهاج) ، و (أسيوط) ، و (المنيا) ، و (بنى سويف) .. وهذا يحتاج إلى عام كامل على الأقل .

هتف (عماد) فجأة :

ــ إلا إذا عرفنا من أين ركب القتيل القطار .

تنهَّد (عصام) ، وهو يقول :

ــ إنها ليست مهمة سهلة كما تتصوَّر يا (عماد) .

سألته (عُلا) فى اهتمام :

ــ لقد التقطت صورة لوجه القتيل .. أليس كذلك ؟

أومأ (عصام) برأسه إيجابًا ، فتبادل (عماد) و (عُلا) نظرتهما الغامضة ، ثم قال (عماد) فى هدوء :

ــ فى هذه الحالة يمكنك أن تقول إنه لدينا وسيلة يا أستاذ (عصام) .

* * *

كان عنبر الحوادث بمستشفى (قصر العينى) ، يضم عشرات من مصابى الحادث ، ولقد ظلَّ (عصام) ساعة كاملة ينتقل بين أسرة المصابين ، ويريهم صورة الرجل ، دون أن يحصل على نتيجة تستحق الذكر ، حتى كاد قلبه يمتلئ باليأس ، وهو يرفع الصورة أمام عينى شاب مصاب بجرح غائر فى ذراعه ، ولكن قلبه لم يلبث أن امتلأ مرَّة أخرى بالأمل ، عندما تأمَّل الشاب الصورة فى إمعان ، قبل أن يقول فى ثقة :

ــ نعم .. إننى أذكره .

هتف (عصام) فى لهفة :

ــ تأمَّله مرَّة أخرى .

أجابه الشاب فى ثقة :

ــ إننى أذكره تمامًا ، فقد عاونتنى فى رفع أمتعتى إلى المكان

المخصَّص لها ، وتحدثنا بضع لحظات ، ثم لم يَفه بحرفٍ واحد حتى الحادث .

سأله (عصام) فى لهفة شديدة :

ــ ومتى كان ذلك ؟.. أعنى فى أيَّة محطة صعدت أنت إلى القطار ؟

أجابه الشاب فى هدوء :

ــ فى (سوهاج) .. إنها مدينتى .

عاد (عصام) يسأله بمزيد من اللَّهفة :

ــ ألم يخبرك من أين جاء ؟

هزَّ الشاب رأسه نفيًا فى هدوء ، ثم عاد يقول فى ثقة :

ــ لا .. ولكننى أظنه من محافظة (قنا) .

عقد (عصام) حاجبيه ، وهو يسأله فى اهتمام :

ــ ولماذا محافظة (قنا) بالذات ؟

ابتسم الشاب ، وهو يقول :

ــ إنك تسأل هذا السؤال لأنك لست من أبناء الصعيد .

ثم مال نحوه مستطردًا فى فخر :

ــ إن مدن الصعيد أشبه بولايات مستقلة ، لكل منها لهجتها الخاصة ، وحديثها الخاص ، ونحن ــ أبناء الصعيد ــ نميِّز فى سهولة ما بين لهجة محافظة وأخرى .

سأله (عصام) فى اهتمام :

ــ هل أنت واثق من ذلك ؟

أرجع الشاب رأسه ، وهو يقول فى غضب :

ــ تمام الثقة .

عقد (عصام) حاجبيه ، وهو يغمغم فى خفوت :

ــ عظيم .. هذا يخفض عدد مدن البحث إلى خمس فقط .

سأله الشاب فى حَيْرة :

ــ ماذا تقول ؟

ابتسم (عصام) ، وهو يقول فى هدوء :

ــ لا عليك يا فتى .. لقد عاونتنى كثيرًا ، فبواسطتك أمسكت طرف الخيط .

وصمت لحظة ، قبل أن يستدرك فى حياءٍ :

ــ أو بجزء منه على الأقل .

* * *

هتفت (عُلا) فى حماس :

ــ هذا رائع .. إذن فهو من أبناء محافظة (قنا) .

أومأ (عصام) برأسه إيجابًا ، وهو يقول :

ــ ليس الأمر بالبساطة التــى تتصوَّرينها يا (عُلا) ،

فمحافظة (قنا) هى أكبر محافظات الصعيد ، والبحث فى مدنها عن منشإ رجل واحد قد يستغرق خمسة أو ستة أشهر على الأقل .

ثم عقد حاجبيه ، وهو يستدرك فى اهتمام :

ــ ما لم نحصل على معلومة إضافية .

وقبل أن يسأله أحدهما عما يعنيه ، أسرع إلى الهاتف ، وطلب رقم الدكتور (على) ، ولم يكد يسمع صوته ، حتى قال فى لهفة :

ــ أنا (عصام كامل) يا دكتور (على) .. هل من جديد ؟

أجابه الدكتور (على) فى اهتمام :

ــ بالطبع .. لقد قمت بتشريح الجثة ، وتأكّدت من مصرع الرجل خنقًا ، وبإصرار .. فالأنسجة كلها محتقنة ، والعظم اللامى مكسور و ....

قاطعه (عصام) فى لهفة :

ــ هل هناك ما يشير إلى عمله أو طبيعته ؟

هتف الدكتور (على) فى حماس :

ــ بالطبع .

ثم أردف بلهجة توحى بخطورة الأمر :

ــ إنه يعمل فى صناعة الأحذية ، ويمتلك درّاجة بخارية منذ عدة سنوات .

غمغم (عصام) فى دهشة :

ــ يا إلهى !!.. وهل توصّلت إلى ذلك من فحص الجثة ؟

أجابه الدكتور (على) فى ثقة :

ــ نعم .. وهذا أمر بسيط للغاية ، فآثار البثور والأماكن المتليّفة فى راحتيه ، لا تنشأ إلا من استخدام وقيادة الدرّاجات البخارية ، حيث يتم التحكُّم فى الوقود والسرعة بواسطة المقبضين .. والسحجات فى أصابعه وباطن يده ، هى نفسها التى تحدث مع صناعة الأحذية ، حينما يجذبون خيوطهم ، ويطلونها بالشمع .. كل هذا مدوَّن فى مراجع الطب الشرعى يا أستاذ (عصام) .

فغر (عصام) فاه فى دهشة ، ثم لم يلبث أن ابتسم ، وهو يقول :

ــ هذا رائع يا دكتور (على) .. بل أكثر من رائع .. لقد ضيَّقت دائرة البحث كثيرًا .

وأخبره بما توصّل إليه ، ثم وضع سماعة الهاتف ، والتفت نحو (عماد) و (عُلا) ، مُغمغمًا فى خجل :

ـ يبدو أننى الشخص الوحيد ، الذى لا يستحق الانضمام إلى فريق (ع×٢) .

سألاه عمَّا يعنيه ، فشرح لهما ما توصَّل إليه الدكتور (على) ، واستمعا إليه فى انبهار ، ثم صفَّقتْ (عُلا) بكفَّيها فى جذل ، وهى تقول :

ـ واسمه أيضًا يبدأ بحرف (العين) .. يا إلهى !!.. يبدو أننا سنمنحه لقب (ع×٤) .

ابتسم (عصام) فى هدوء ، فى حين سأله (عماد) فى اهتمام :

ـ كيف تتوقَّع الخطوة القادمة يا أستاذ (عصام) ؟

هزَّ (عصام) رأسه ، وهو يقول :

ـ إن ما حصلنا عليه يعدُّ رائعًا ، بالمقارنة بالوقت الضئيل ، الذى تمَّ فيه حصولنا عليه .. فلقد أصبحنا نعرف أن القتيل من محافظة (قنا) ، وأنه صانع أحذية ، ويمتلك درَّاجة بخارية منذ أكثر من عام ، وبقى أن نعرف بعض المعلومات عن قاتله ؛ لذا فالخطوة المنطقية التالية هى ....

وصمت لحظة ، قبل أن يردف فى توتُّر :

ـ هى السفر إلى محافظة (قنا) .

رَانَ الصمت على الجميع بعد عبارته ، وقفز ذهن (عماد) و (عُلا) إلى الصعيد بجباله وغموضه ، وجرائم الثأر ، التى تريق أنهار الدماء على تربته ، ثم غمغمت (عُلا) فى خفوت :

ـ أتظن أنها الوسيلة الوحيدة ؟

أومأ (عصام) برأسه إيجابًا ، ثم ابتسم فى شحوب ، وهو يقول :

ـ نعم يا (عُلا) .. إنها الوسيلة الوحيدة لمواصلة البحث ، والعثور على حلٍّ لُغز (قضية قطار الرعب) .

★ ★ ★

٤ ــ الخطوة القاتلة ..

لم تكن النتائج الأولى مشجّعة بالنسبة لـ (عصام) ، فلقد استقلّ الطائرة إلى (الأقصر) ، ونقّبها شمالاً وجنوبًا ليومين كاملين ، بحثًا عمن يعرف القتيل ، دون جدوى ، ثم انطلق إلى (قوص) ، حيث استقبله الإخفاق ذاته ، بعد يوم كامل من البحث دون راحة ، وغادرها على بساط من اليأس إلى مدينة (قنا) ، ليجترّ فيها نفس الفشل ، ويتذوّق فيها نفس المرارة ..

لم يكن هناك من يعرف الرجل .. أو رآه .. أو حتى لمحه ..

وبعد أسبوع من البحث الفاشل ، عاد (عصام) إلى حجرة فندقه بـ (قنا) محبطًا يائسًا ، وألقى جسده المكدود على فراشه الصغير ، وهو يهتف فى حَنَق :

ــ يا لها من مهمة سخيفة !!

وزفر فى قوة ، ثم التقط سمّاعة الهاتف ، وطلب من إدارة الفندق منحه مكالمة هاتفية إلى (القاهرة) وجلس ينتظرها فى تململ ..

وكان التّعاس فى سبيله للسيطرة على عقله ، حينما ارتفع رنين هاتف حجرته ، فالتقط سمّاعته فى حركة سريعة ، وسمع صوت الدكتور (على) يقول فى لهفة :

ــ أهو أنت يا (عصام) .. هل توصّلت إلى شىء مّا ؟

أجابه (عصام) فى إحباط :

ــ مطلقًا .. هل توصّلت أنت إلى جديد ؟

غمغم الدكتور (على) :

ــ ليس إلى الكثير .. كل ما أضفته إلى معلوماتنا هو أنه كان مصابًا بضعف فى الشريان التاجى الأيسر ، والمياه البيضاء (الكتراكت) فى عينه اليمنى .

زفر (عصام) ، وهو يقول فى يأس :

ــ لا أظن هذا يفيدنا كثيرًا .

ثم استطرد فى إرهاق واضح :

ــ ولكن وقت اليأس لم يحن بعد ، فمازال أمامنا (دشنا) ، و (نجع حمادى) .

أتاه صوت الدكتور (على) مفعمًا بالقلق ، وهو يقول :

ــ كن على حذر فى خطوتك التالية يا (عصام) ، فرجال الشُرطة يقولون إن (دشنا) هى أكثر مدن القطر خطورة .

تنهَّد (عصام) ، وهو يقول :

ــ اطمئن يا دكتور (على) .. لن تكون الخطوة القادمة بهذه الخطورة ..

ولكنه كان مخطئًا ..

* * *

حينما هبط (عصام) من سيارة الأجرة ، التى أقلَّته إلى مدينة (دِشنا) ، لم يكن يتوقَّع أن تسفر تحرِّياته عن أى تقدُّم ؛ لذا فهو لم يبد شديد الحماس ، وهو يدلف إلى أوَّل محل لبيع الأحذية فى طريقه ، ويخرج صورة القتيل من جيبه ، ليضعها أمام عينى صاحب المحل ، قائلًا فى ضجر :

ــ هل تعرف هذا الرجل ؟.. إنه يعمل فى صناعة الأحذية .

شىء مَّا فى عينى الرجل ، ذهب بكل تراخيه وضجره ..

شىء أنبأه أن وجه القتيل مألوفٌ للرجل ، وإن ظلَّت ملامحه هادئة ، جامدة ، وهو يرفع عينيه عن الصورة ، ويركِّزها على عينى (عصام) ، قائلًا فى برود :

ــ كلَّا .. لست أعرفه .. إننى لم أره من قبل .

ظلَّ كلاهما يحدِّق فى عينى الآخر لحظات ، قبل أن يقول (عصام) فى هدوء :

ويخرج صورة القتيل من جيبه ، ليضعها أمام عينى صاحب المحل ، قائلًا فى ضجر :

ــ هل تعرف هذا الرجل .. إنه يعمل فى صناعة الأحذية ..

ـ ولكنه يدعى أنه يعرفك .

ابتسم الرجل ابتسامة هادئة ، خُيّل لـ (عصام) أنها تحمل الكثير من السخرية ، وهو يقول :

ـ لا أظنه أخبرك بذلك .

سأله (عصام) فجأة فى حدّة .

ـ لماذا ؟.. لماذا لا تظنه فعل ؟

انفرجت شفتا الرجل ، كما لو كان سينطق بعبارة مًا ، ثم لم يلبث ن أطبقهما فى صرامة ، وعاد يقول فى برود :

ـ لأننى لا أعرفه بالفعل .

عادا يتبادلان نفس النظرة الصارمة ، التى تنطوى على الكثير من التحدّى ، قبل أن يميل (عصام) نحو الرجل ، ويقول فى صوت قوى صارم :

ـ اسمع يا رجل .. لقد قضى هذا الرجل نحبه قتلا ، بواسطة مجرم خسيس ، وهناك أدلة قوية تشير إلى تورّطك فى الأمر ، ولو أمكن إثبات ذلك فسيكون مصيرك هو حبل المشنقة .. هل تفهم ذلك ؟

لم يَفه الرجل بحرف واحد ، وظلّت ملامحه جامدة صارمة ، فاعتدل (عصام) ، وهو يقول فى حزم غاضب :

ـ وثق أننا سنلتقى مرّة أخرى .

راقبه الرجل فى برود وهو ينصرف ، ثم اتجه إلى هاتفه ، وطلب رقمًا قصيرا ، ثم لم يكد يسمع صوت محدّثه حتى قال فى هدوء :

ـ أنا (حميد) .. أعطنى (وهبة) .

وطال صمته بعض الوقت ، حتى سمع صوت (وهبة) من الجانب الآخر ، وهو يقول :

ـ ماذا تريد يا (حميد) ؟

أجابه فى صرامة :

ـ جاءنى شابّ منذ لحظات ، يتحرّى عن مقتل (مرزوق) .. لست أدرى كيف نجح فى الوصول إلى هنا ، ولكن وجوده يجعل الموقف بالغ الخطورة .. حاول أن تعرف من هو ، وإلى أيّة جهة ينتمى ، ولو أنه ليس من رجال الشرطة ، فعليك أن تتخلّص منه .

سأله (وهبة) فى توتّر :

ـ هل أقتله ؟

غمغم (وحيد) فى صوت أقرب إلى السخرية :

ـ وهل لديك وسيلة أفضل ؟

ثم أنهى المكالمة فى هدوء ، وهو يبتسم فى سخرية وشماتة ..

* * *

لم يكن (عصام) بحاجة إلى الكثير من الذكاء ، ليدرك أن (حميد) يخفى الكثير مما يعرفه عن القتيل ؛ لذا فقد قرّر أن يتحرّك فى سرعة ، قبل أن ينشر (حميد) خبر تحرّياته فى مدينة (دشنا) كلها ، فيعُوق مهمته ، واتجه إلى متجر قريب لبيع الأحذية ، وأظْهَر صورة القتيل أمام وجه صاحبه ، وهو يقول فى صرامة :

ــ ماذا تعرف عن هذا الرجل ؟

اتسعت عينا صاحب المتجر فى ذُعر ، وهو يهتف :

ــ مرزوق ؟!..

ثم لوَّح بكفّه ، مستطردًا فى خوف :

ــ إننى لا أعرفه .. لست أعرف عنه شيئًا .

صاح (عصام) فى وجهه بصرامة :

ــ هكذا ؟!.. ما رأيك إذن فى أن (حميد) قال إنك تعرف (مرزوق) ، وإنك السبب فى مقتله .

شحب وجه الرجل ، وهو يهتف فى رُعب :

ــ أنا ؟!.. إنه هو الذى ..

وبتر عبارته فجأة ، ليهتف فى ذُعر :

ــ أقسم أننى لم أفعل ذلك .

حَدجه (عصام) بنظرة قاسية صارمة ، وتطلّع فى عينيه مباشرةً ، وهو يقول :

ــ وهل فعل به (حميد) ذلك ؟

امتقع وجه الرجل فى شدة ، وبدا صوته باكيًا ، أقرب إلى الضراعة ، وهو يقول :

ــ لا شأن لى بذلك .. أرجـــوك .. إن (مرزوق) ، و (حميـد) ورجالـه من (حمرة دوم) ، ولا شـأن لى بهم ، أو بقريتهم .. إننى رجل مسالم .. أرجوك .

عقد (عصام) حاجبيه ، وهو يسأله :

ــ (حمرة دوم) ؟!.. وما هى (حمرة دوم) هذه ؟

حدَّق الرجل فى وجهه بذهول ، وهو يهتف :

ــ ألا تعرف (حمرة دوم) ؟

سأله (عصام) فى عصبيَّة :

ــ لا .. أهى جنة الله (سبحانه وتعالى) فى الأرض .

هتف الرجل فى مرارة :

ــ بل هى جحيمـه .. إن (حمرة دوم) مأســاة حيّة ..

إن تبادل إطلاق النيران لا يتوقَّف بها لأسبوع واحد كل عام ..
حتى الشُرطة عجزت عن ....

بتر الرجل عبارته بغتة ، وارتسم فى عينيه ذُعر هائل ، وهو يتطلَّع إلى نقطة مَّا خلف (عصام) ، الذى التفت إلى حيث ينظر الرجل فى حركة حادَّة ، وعقد حاجبيه ، وهو يحدِّق فى وجه رجل وقور ، باسم الوجه ، يرتدى جلبابًا أنيقًا ، وفوقه عباءة سوداء ، موشاة بخيوط من القصب المذهَّب ، وشاربه أشيب ضخم ، ينافس بياض رأسه الشاهق ..

وتساءل (عصام) فى دهشة وحَيْرة عن سرِّ الرُّعب ، الذى ارتسم على وجه صاحب المتجر ، حينما رأى الرجل ، وتضاعفت دهشته ، حينما قال الرجل بلهجة ودود ، وابتسامة هادئة محبَّبة :

ــ ماذا تريد من (حمرة دوم) يا ولدى ؟

قبل أن يتفوَّه (عصام) بكلمة واحدة ، وصلت دهشته إلى ذِروتها ، حينما سمع صاحب المتجر يقول فى صوت مرتجف ، يموج بالرعب :

ــ إنه مجرَّد حديث عابر يا (وهبة) بك .. حديث عابر بسيط .

اتسعت ابتسامة (وهبة) ، وخُيِّل لـ (عصام) أنها تحمل شيئًا مخيفًا ، جعل نبضات قلبه ترتفع إلى الضعف ، قبل أن يكرِّر الرجل سؤاله فى هدوء ، متجاهلًا قول صاحب المتجر :

ــ إنك لم تخبرنى بعد ماذا تريد من (حمرة دوم) يا ولدى ؟

ازدرد (عصام) لُعابه ، قبل أن يجيب فى توتُّر :

ــ إنها تثير فضولى فحسب يا سيِّد (وهبة) .

برقت عينا الرجل على نحو مخيف ، قبل أن يسأل (عصام) فى هدوء :

ــ هل تعرفنى من قبل يا ولدى ؟

أجابه (عصام) :

ــ لا .. ولكننى سمعت هذا الرجل يخاطبك باسم (وهبة) فحسب .

ابتسم (وهبة) ، وهو يقول فى بطء :

ــ ذكاء طريف يا ولدى .

ثم استطرد فى سرعة مباغتة :

ــ هل أنت رجل شرطة ؟

هزَّ (عصام) رأسه نفيًا فى هدوء ، وهو يقول :

ــ بل صحفى .. صحفى بقسم الحوادث ، وأوقع مقالاتى بلقب (ع×٢) .

رفع (وهبة) حاجبيه ، وهو يهتف فى دهشة :

ــ (ع × ٢) ؟!.. إذن فأنت (عصام كامل) .

غمغم (عصام) مبتسمًا :

ــ نعم .. أنا هو .

زفر (وهبة) فى ارتياح ، قبل أن يطلق ضحكة قصيرة ، ويقول :

ــ يا إلهى !!.. إذن فأنت (عصام كامل) ، صاحب أشهر التحقيقات البوليسية .

ثم مال نحوه مستطردًا فى اهتمام :

ــ وما الذى أتى بك إلى هنا يا أستاذ (عصام) ؟

تناول (عصام) من جيبه صورة القتيل (مرزوق) ، ووضعها أمام عينيه ، قائلًا :

ــ جئت أبحث عن تاريخ هذا الرجل .. هل تعرفه ؟

ألقى (وهبة) نظرة سريعة لامبالية على الصورة ، قبل أن يجيب فى هدوء :

ــ نعم .. إنه (مرزوق شعبان) .. صانع أحذية من (حمرة دوم) .

لم يلمح (عصام) ذلك المزيج من الذُعر والدهشة ، الذى

ارتسم على وجه صاحب المتجر ، فقد تملكته اللهفة ، وهو يسأل (وهبة) فى اهتمام :

ــ هل كان له أعداء ؟

مطَّ (وهبة) شفتيه ، وهو يقول :

ــ لست أدرى ، ولكن يمكنك أن تلقى أسئلتك على أهل (حمرة دوم) .. سأصحبك إلى هناك .

ثم ابتسم مستطردًا :

ــ ستكون ضيفى .

أجابه (عصام) فى لهفة :

ــ إننى أقبل ضيافتك ، ولكننى سأجرى مكالمة هاتفية أوَّلًا .

ارتسمت ابتسامة غامضة على شفتى (وهبة) ، وهو يقول فى هدوء :

ــ لا بأس .. سأنتظر .

وكانت ابتسامته تشبه ابتسامة الموت نفسه ..

* * *

٥ ــ الطريق إلى الخطر ..

ــ« وهكذا أصبحنا نعرف الكثير يا (عماد) ، فالقتيل يدعى (مرزوق) ، وهو حقًا صانع أحذية ، ومن قرية تدعى (حمرة دوم) ، وسأذهب إليها الآن مع (وهبة) ، الذى أخبرتك عنه » ..

هكذا أنهى (عصام) حديثه الطويل مع (عماد) و (عُلا) ، عَبْر أسلاك الهاتف ، فأجابه (عماد) فى قلق :

ــ من الأفضل ألّا تذهب يا أستاذ (عصام) ، فـ (وهبة) هذا يثير الشكوك .

أجابه (عصام) فى إصرار :

ــ أعلم هذا ، ولكنها الوسيلة الوحيدة للتوصُّل إلى حلّ اللُغز .

قال (عماد) فى قلق :

ــ هذا صحيح ، ولكن كن على حذر .

ابتسم (عصام) ، وهو يقول :

ــ اطمئن .. إن أعماق تمتلئ بالحماس والفضول ، ولن يهدأ لى بال حتى أتوصَّل إلى حلّ اللُغز .

أنهى (عصام) المحادثة ، واتجه نحو (وهبة) ، الذى ينتظره خارج مركز الهاتف ، وهو يبتسم قائلًا فى هدوء :

ــ هيًا بنا يا سيِّد (وهبة) .

ابتسم (وهبة) تلك الابتسامة الغامضة ، التى لا توحى بالاطمئنان أبدًا ، وهو يقول :

ــ هيًا يا أستاذ (عصام) ، وأعدك أنها ستكون رحلة متميِّزة ، لن تشهد مثلها بعد ذلك أبدًا .

واتسعت ابتسامته ، وهو يردف فى لهجة مخيفة :

ــ أبدًا .

* * *

لم يفارق القلق نفس (عماد) و (عُلا) لحظة ، منذ حديثهما الهاتفى مع (عصام) ، وَرَان عليهما الصمت طويلًا ، وكل منهما يفكر فيما حدث فى عمق ، قبل أن تُغمغم (عُلا) :

ــ كم أخشى أن يصاب الأستاذ (عصام) بسوء !

أومأ (عماد) برأسه موافقًا ، وقال :

ــ لست أقل منك قلقًا يا (عُلا) ، فالرجل (وهبة) هذا متورِّط فى الأمر ولاشك .

عاد كل منهما إلى صمته مرة أخرى ، حتى عاد والدهما من عمله ، وابتسم وهو يحيِّيهما قائلًا :

ــ كيف حالكما ؟.. لِمَ تبدوان على هذا النحو من التَوتُّر ؟

سألته (عُلا) فى اهتمام :

ــ ما الذى أسفر عنه التحقيق فى حادث قطار الصعيد يا أبى ؟

عقد العقيد (خيرى) حاجبيه ، وهو يسألهما فى قلق وشكّ :

ــ لماذا تسألين يا (عُلا) ؟.. هل (عصام) هو الذى يتولَّى الحادث ؟

أجابه (عماد) فى صدق :

ــ نعم يا والدى .. إنه يتحرَّى قضية تتعلَّق بحادث القطار .

سألهما العقيد (خيرى) فى دهشة :

ــ منذ متى ؟!

أجابته (عُلا) :

ــ منذ أسبوع تقريبًا يا والدى ، منذ ليلة الحادث .

هتف العقيد (خيرى) فى دهشة بالغة :

ــ عجبًا !!

ثم جلس بين ولديه ، ووضع راحتيه على كتفيهما ، وهو يسأل فى حَيْرة :

ــ ولكن كيف توصَّلتما إلى الحقيقة بهذه السرعة ؟

سألاه فى دهشة :

ــ أيَّة حقيقة يا أبى ؟

أجابهما فى حيرة :

ــ حقيقة أن الحادث قد تمَّ بفعل فاعل .

هتفا فى ذهول :

ــ حادث القطار ؟!

أومأ والدهما برأسه إيجابًا ، وهو يقول :

ــ نعم يا ولدىَّ .. لقد حطَّم أحدهم السلاسل التى تربط العربتين الأخيرتين بباقى القطار ، وترك سلسلة واحدة ، لم تحتمل طول المسافة ، فتحطَّمت بعد مغادرة القطار محطة

(بنى سويف) بساعة تقريبًا ، فسقطت العربتان ، ونشأ الحادث الرَّهيب .

تبادل (عماد) و (عُلا) نظرة ذُعر ، قبل أن تسأل (عُلا) والدها فى توتُّر بالغ :

ــ هل ثبت ذلك بصورة قاطعة يا والدى ؟

أجابها فى حَيْرة :

ــ نعم يا (عُلا) .. ماذا هناك ؟

سأله (عماد) فى قلق ولهفة :

ــ وهل اقترن حادث القطار بحوادث سرقة أو نهب من أى نوع يا والدى ؟

زفر العقيد (خيرى) ، قبل أن يقول فى حَيْرة :

ــ لا يا (عماد) .. لم يحدث أى شىء من هذا .

ثم عقد حاجبيه ، وهو يسأل ولديه فى صرامة :

ــ ماذا خلف أسئلتكما ؟.. وما القضية التى يتحرَّى عنها (عصام) بالضبط ؟

تبادلا نظرة مُفْعمة بالقلق ، ثم تعلَّقت (عُلا) بذراع والدها ، وهى تقول فى توتُّر :

ــ سنخبرك يا والدى .. سنخبرك بكل شىء ، ولكن

عليك أن تتحرَّك بسرعة ، فما ذكرته لنا الآن يعنى أن الأستاذ (عصام) يمضى فى طريق مخيف .. طريق إلى الخطر .. الخطر وحده ..

* * *

انطلقت السيارة التى تقلّ (عصام) و (وهبة) وسائقه ، عبر الطريق الأسفلتىّ إلى (حمرة دوم) ، واهتمَّ (عصام) بتأمل الطريق طوال الوقت ، دون أن يتبادل سوى القليل من الحديث مع (وهبة) ، حتى انحرفت السيارة فجأة خارج الطريق الأسفلتىّ وانطلقت فى طريق ترابى ضيِّق ، فغمغم (عصام) فى قلق :

ــ إلى أين نذهب ؟

ابتسم (وهبة) ، وهو يقول :

ــ لا تقلق يا أستاذ (عصام) .. إن (حمرة دوم) ، كمعظم قُرى محافظة (قِنا) ، تقع بعيدًا عن الطريق الأسفلتىّ ، وتقبع فى حضن الجبل ــ كما نقول ــ ولا سبيل إلى الوصول إليها إلا عَبْرَ تلك الطرق الترابية الفرعية .

سأله (عصام) بمزيج من القلق والفضول :

ــ وكم تبعد (حمرة دوم) عن الطريق الأسفلتى ؟

أجابه (وهبة) فى هدوء :

ـــ حوالى سبعة كيلومترات .

ثم أشعل سيجارته فى بطء ، قبل أن يسأله مستطردًا :

ـــ لماذا تلقى الأسئلة عن (مرزوق) يا أستاذ (عصام) ؟

تأمَّله (عصام) لحظة ، قبل أن يجيب فى هدوء :

ـــ إنه تحقيق عادى عن صنّاع الأحذية و ....

قاطعه (وهبة) بضحكة ساخرة ، قبل أن يقول متهكّمًا :

ـــ وهل يشمل تحقيقك الموتى منهم يا تُرى ؟

ارتفع حاجبا (عصام) فى دهشة ، وهو يسأله فى حِدَّة :

ـــ وكيف علمت أنه قد قُتل ؟

أطلق (وهبة) ضحكة أخرى ساخرة مجلجلة ، ضغط سائقه على إثرها (فرامل) السيارة فى قوة ، فتوقَّفت بحركة حادة ، وسط عاصفة من التراب ، واندفع (عصام) بفعل التوقُّف المفاجئ ، ليرتطم بالمقعد الأمامى ، ولم يكد يعتدل حتى رأى

فوَّهة مسدس (وهبة) مصوَّبة إلى رأسه ، وسمعه يقول فى سخرية :

ـــ اقرإ الشهادتين يا أستاذ (عصام) ، فهنا تنتهى الرحلة .. رحلة حياتك .

* * *

٦ ــ القتل فى الصعيد ..

كان الموقف بأكمله يشبه فخا محكمًا ، تم إعداده فى دِقّة وإتقان ..

المكان الذى توقّفت فيه السيارة مقفر تمامًا ، ويمر عَبْر جبلين ضخمين ، يحجبان السيارة عن الرؤية تمامًا ، و (وهبة) وقائد سيارته أضخم حجمًا من (عصام) بكثير ، ثم إنهما وحدهما يحملان الأسلحة ، أما هو فأعزل لا حول له ولا قوة ..

وكان عليه أن يقاوم بكل ما يملك من قوة ، وأن يبحث عن وسيلة للفرار ..

ولكن فضوله الصحفى تغلّب على خوفه ، وجعله يسأل (وهبة) على نحو مفاجئ :

ــ هل تنوى قتلى من أجل مقتل (مرزوق) ؟

رفع (وهبة) وسائقه حواجبهما فى دهشة ، وتبادلا نظرة حائرة ، قبل أن يحدّقا فى وجه (عصام) ، كما لو كانا يتطلعان إلى مجنون ، ثم ابتسم (وهبة) فى سخرية ، وهو يقول :

ــ وما الفارق ؟.. إننا سنقتلك على أيّة حال !

سأله (عصام) فى لهفة :

ــ أريد أن أعرف على الأقل .. هل قتلت (مرزوق) ؟

مطّ (وهبة) شفتيه ، وهو يقول :

ــ أنت تتدخّل فيما لا يعنيك أيها الصحفى .. ولم تكن لتتوصّل أبدًا إلى سرّ مصرع (مرزوق) .. فالرجل الذى أمر بالتخلّص منه هو واحد من أكبر أربعة رجال فى (حمرة دوم) ، وهو أقوى من أن يهزمه نافه مثلك .

عاد (عصام) يسأله فى اهتمام :

ــ ولماذا أمر ذلك الرجل بقتله ؟

هزّ (وهبة) رأسه فى دهشة ، وابتسم ابتسامة حائرة ، وهو يقول :

ــ يا لفضول الصحفيين !!

ثم جذب إبرة مسدّسه ، وهو يستطرد فى صرامة شرسة :

ــ إنها تقودهم دَوْمًا إلى الموت .. الوداع أيها الصحفى .. لقد انتهت أسئلتك هنا ..

* * *

لم يكن (عصام) من أولئك الرجال ، الذين اعتادوا

مواجهة الخطر ، فَألِفُوه ، وسخروا منه ، وأصبحوا يمتلكون القدرة على مواجهته دائمًا بأعصاب هادئة ، وقلوب من فولاذ ..

لقد كان ــ وحتى انضمامه إلى (عماد) و (غُلا) ــ مجرَّد صحفى عادى ، يسعى خلف أخبار الحوادث ، متحاشيًا تعريض نفسه للمخاطر بقدر الإمكان ..

وكان يشعر بخوف حقيقى ، وبرجفة تشمل جسده كله ، كلما واجه الخطر ..

وهذا ما شعر به فى تلك اللحظة ، التى كان (وهبة) يصوِّب مسدَّسه فيها إلى رأسه ..

ولكن كانت هناك ــ فى هذه اللحظة أيضًا ــ غريزة أقوى من الخوف تملأ عروقه ..

غريزة البقاء ..

وهذه الغريزة بالذات ، هى التى دفعت (عصام) للمقاومة ..

وفى حركة سريعة ، أرجع (عصام) رأسه إلى الخلف ، وأخْناها متفاديًا الرصاصة التى انطلقت من مسدَّس (وهبة) ، والتى مرقت من بين خصلات شعره المجعَّد ، وبدا

صوتها فى أُذنيه أشبه بقصف الرَّعد .. ثم ثَنى ركبتيه ، ودفع قدميه فى وجه (وهبة) بركلتين قويتين ، قبل أن يدفع باب السيارة ، ويقفز خارجها ، ويركض مبتعدًا عنها بأقصى ما يملك من سرعة ..

وصرخ (وهبة) فى غضب وسخط هائلين :

ــ اقتله يا (عابد) .. اقتله .

وارتسمت وحشية هائلة فى وجه سائق السيَّارة ، وانتزع من أسفل مقعده مدفعًا رشاشًا ، وانطلق بجسده الضَّخم خلف (عصام) ، فى حين ظل (وهبة) داخل السيارة ، يسبُّ ويلعن ، وهو يحاول مداواة الجروح والخدوش ، التى أحدثتها بوجهه ركلتا (عصام) ..

وأطلق (عابد) رصاصات مدفعه الرشاش خلف (عصام) ، بكل شراسته وقسوته وعنفوانه ، وزاد (عصام) من سرعة رَكْضه ، مع الرَّصاصات التى تنهب الأرض خلفه ، وقفز يحتمى بجزء بارز من صخور الجبل ، وهو يلهث من فرط الخوف والانفعال .

وارتسمت ابتسامة شرسة على شفتى (عابد) ، وهو يتقدَّم نحو الجزء الذى اختفى خلفه (عصام) ، وغمغم فى وحشية ، وهو يجذب إبرة مدفعه الرشاش :

وارتسمت ابتسامة شرسة على شفتى (عابد) ، وهو يتقدَّم نحو الجزء الذى اختفى خلفه (عصام) ..

ـ ويلك أيها الصحفى النَّابه .. ستشطرك رصاصات مدفع (عابد) إلى شطرين .

ثم قفز حيث اختبأ (عصام) ، وهو يطلق صرخة وحشية ، ويلقى رصاصات مدفعه فى سخاء ، ثم لم يلبث أن توقَّف ، وهو يحدِّق فى المكان بدهشة ، ثم لم يلبث أن هتف فى سخط :

ـ أين ذهب ذلك الصحفى ؟

جاءه صوت (عصام) من خلفه يقول :

ـ هنا .

استدار (عابد) بمدفعه فى سرعة وشراسة ، ولكن (عصام) عاجله بضربة قوية على رأسه ، بحجر ضخم ، فزاغت عَيْنَا (عابد) ، ودارتا فى محْجَريهما ، وحاول أن يطلق رصاصات مدفعه الرشَّاش على جسد (عصام) ، الذى تسلَّق الجبل ليباغته من الخلف ، ولكن (عصام) ملأ قبضته بكل ما يعتمل فى جسده من خوف وتوتُّر ورغبة فى البقاء ، وهوَى بها على فكِّ (عابد) ، الذى ترنَّح بجسده الضخم ، وحاول أن يتماسك ، لولا أن ركل (عصام) مدفعه ، ثم لكمه فى معدته بقوة ..

وشهق (عابد) فى ألم ودهْشة ، ثم أطلق صَرْخة وحْشيَّة ،

واستجمع ما بقى فى جسده من قوة ، وأمسك بتلابيب (عصام) ، ورفعه إلى أعلى فى قوة ، كما يحمل العملاق طفلًا ، وألقاه على الصُّخور ..

وشعر (عصام) بآلام مبرِّحة فى ظهره وعموده الفقرى ، مع ارتطامه بالصُّخور القاسية ، ولكنه حاول أن يقاوم تلك الآلام ، ويدافع عن حياته ، إلا أن (عابد) ركله فى وجهه بقوة ، ثم انقضَّ عليه مرة أخرى ، وحمله وهو يطلق صرخته الوحشيَّة ، وقد قرَّر أن يحطِّمه هذه المرَّة على الصخور الحادَّة القاسية ، وظهر (وهبة) فى تلك اللَّحظة ، وهو يصرخ فى شراسة :

ــ اقتله يا (عابد) .. اقتله ..

وامتلأ قلب (عصام) برعب هائل ، ودفعته غريزة البقاء مرَّة أخرى إلى ضم قبضته ، ولكم (عابد) بكلتيهما على مؤخرة عنقه ، فخار (عابد) كثور جريح ، وألقاه بعيدًا فى غضب ..

ومرَّة أخرى شعر (عصام) بالآلام المبرِّحة فى جسده ، ولكنه رأى المدفع الرشَّاش على مقرُبة منه ، فالتقطه بحركة سريعة ، وصوَّبه إلى (عابد) ، وهو يقول فى توتُّر :

ــ قفْ وإلا أطلقت النار .

توقَّف (عابد) قلقًا مبهوتًا ، وتطلَّع إلى زعيمه (وهبة) فى توتُّر ، ولكن هذا الأخير انتزع مسدسه من غِمْده فى سرعة ، وأطلق رصاصته على المدفع الرشَّاش ، فأطاح به بعيدًا ، ووجد (عصام) نفسه مرَّة أخرى أعزَل ، فتراجع فى ذُعر ، وارتسمت ابتسامة قاسية على شفتى (عابد) ، واقترب (وهبة) حتى صار على قيد خطوتين من (عصام) ، وجذب إبْرة مسدَّسه ، وهو يصوِّبه إلى رأسه قائلًا :

ــ لا فائدة أيها الصحفى .. الموت هو نهايتك لا ريب .

وردَّدت جبال الصعيد صوت الرصاصة الصائبة ..

★ ★ ★

٧ ــ الأربعة الكبار ..

اتَّسعت عينا (عصام) فى رُعب وذهول ، وهو يحدِّق فى وجه (وهبة) ، الذى ارتسم على وجهه تعبير مماثل ، وهو يتراجع فى خوف ، فى حين شحب وجه (عابد) ، وتراجع فى ذُعر ، ونقل (عصام) عينيه بينهما وبين مسدَّس (وهبة) الملقى أرضًا ، وهو لا يصدِّق ما تراه عيناه ..

إن الرصاصة الصائبة ، التى ردَّدت الجبال صداها ، لم تكن موجَّهة من مسدَّس (وهبة) إلى رأس (عصام) ، ولكنها كانت منطلقة من مسدَّس رجل ممتلئ الجسم ، صارم الملامح ، يحتلّ شاربه الضخم نصف وجهه ، ويحيط به ثلاثة رجال ، صوَّبوا بنادقهم إلى (عابد) و (وهبة) ، اللَّذين ردَّدا فى رُعب وذهول :

ــ عبد الغفار ؟! ..

اقتربَ الرجل الضخم ، الذى يدعى (عبد الغفار) ، ورمق (وهبة) بنظرة قاسية صارمة ، وهو يقول فى خشونة :

ــ ويلك يا (وهبة) ! .. منذ متى يُقتل الغرباء العُزّل على أرض (حمرة دوم) ؟.. يا للعار !!

ارتجف (وهبة) ، وهو يغمغم فى خوف :

ــ إنه لص يا عمدة .. لصّ وضيع .

صاح (عبد الغفار) فى وجهه بصرامة تُجمِّد الدم فى العروق :

ــ ومنذ متى يُقتل اللُّصوص العُزّل أيها الحقير ؟

ثم التفت إلى (عصام) ، يسأله فى صرامة مخيفة :

ــ ماذا سرقت منه ؟

نهض (عصام) ، ونفض الغبار عن ثيابه ، وهو يقول فى انفعال :

ــ إننى لم أسرقه .. فلست بسارق ، وإنما هو قاتل وضيع .

ضمَّ (عبد الغفار) شفتيه ، وارتسمت فى عينيه نظرة مخيفة قاسية ، وهو يقول :

ــ كيف تجرؤ على اتهام واحد من أعيان (حمرة دوم) بهذا الاتهام يا فتى ؟

صاح (عصام) فى إصرار :

ــ ولكنه قاتل بالفعل .. لقد تآمر على قتل صانع أحذية يدعى (مرزوق) .

اتسعت عينا (عبد الغفار) فى ذهول ، ثم التفت إلى (وهبة) يسأله فى قسوة :

ــ أهذا صحيح ؟.. هل قتلت (مرزوق) ؟

تلعثم (وهبة) ، وارتجف أمام نظراته ، وتراجع وهو يغمغم فى ارتباك :

ــ إنه كاذب .. إننى لم .. لم ....

هتف (عصام) فى صرامة :

ــ سَلْه إذن لم حاول قتلى ؟..

صاح (وهبة) فى ذُعر :

ــ قلت لك إنه سارق يا عمدة .. سارق .

أدار (عصام) عينيه إلى (عبد الغفار) ، وهو يقول فى انفعال :

ــ اسمعنى يا عمدة .. أنا لست بسارق .. أنا صحفى بقسم الحوادث ، واسمى (عصام كامل) .. ولقد جئت إلى هنا لأتحرَّى عن مقتل رجل يدعى (مرزوق) ، كان ضمن ركّاب قطار الصعيد ، الذى تعرَّض لحادث بشع منذ حوالى ثمانية أيام .. ولقد سألت (وهبة) هذا عن علاقته بمصرع (مرزوق) ، فحاول قتلى .. بِمَ تفسِّر ذلك يا عمدة ؟.. بِمَ ؟

امتقع وجه (وهبة) ، حتى صار أشبه بوجوه الموتى ، وهو يغمغم فى صوت لم ينجح حتى فى إقناعه هو :

ــ إنه كاذب .. كاذب .

وفى تلك اللحظة قفز (عابد) يلتقط مدفعه الرشّاش ، وصرخ به (وهبة) :

ــ اقتلهم يا (عابد) .. اقتلهم جميعًا .

* * *

جاء رد الفعل مذهلًا ، مثيرًا لرعب (عصام) ودهشته ، فلم يكد (وهبة) يصرخ بهذه العبارة ، حتى اخترقت رأسه رصاصة من رصاصات الرجال الثلاثة ، الذين جاءوا بصحبة العمدة ، الذى أدار مسدَّسه نحو (عابد) فى سرعة ، وأطلق رصاصته فى صرامة وصلابة .. ورأى (عصام) عينى (عابد) تجحظان ، وبقعة دم تتكوَّن وتقع فى سرعة ، بين عينى (عابد) ، الذى سقط جثة هامدة ، قبل أن تنطلق من مدفعه الرشّاش رصاصة واحدة ..

ولم يبد أى انفعال على وجوه العمدة ورجاله الثلاثة ، وكأن ما قاموا به عملٌ روتينىٌّ عادىٌّ ، فى حين هتف (عصام) فى ذُعر :

ـــ يا إلٰهى !!.. لقد قتلتموهما !

أجابه (عبد الغفار) فى صرامة :

ـــ إنهما يستحقّان ذلك .

وأطلّت نظرة حزينة من عينيه ، وهو يستطرد :

ـــ إن (مرزوق) هذا هو أخى .. رحمه الله .

* * *

رشف (عصام) رشفة من الشاى الساخن الثقيل ، وهو يجلس فى ساحة منزل العمدة (عبد الغفار) ، الذى ظلّ يتأمله لحظات فى صمت ، قبل أن يقول فى هدوء :

ـــ تقول إن (وهبة) لم يقتل (مرزوق) .. من قتله إذن ؟

تنهّد (عصام) ، وقال :

ـــ إننى لم أقل إنه لم يقتله ، ولكننى قلت إنه ليس صاحب الأمر بقتله .

عقد العمدة حاجبيه الكثين ، وهو يسأله فى صرامة :

ـــ من أمر بقتل أخى إذن ؟

هزّ (عصام) رأسه نفيًا ، وهو يقول :

ـــ لست أدرى من ؟.. لقد سألت (وهبة) ، فلم يقل إلا أنه واحد من أكبر أربعة رجال فى (حمرة دوم) .

ازداد انعقاد حاجبى العمدة ، وهو يغمغم :

ـــ واحد من أكبر أربعة رجال ؟!.

ثم نهض من أريكته ، وتقدّم نحو نافذة تطلُّ على القرية كلها ، وتطلّع إلى المكان فى عمق ، قبل أن يقول فى هدوء :

ـــ اسمع يا ولدى .. إن (حمرة دوم) تقوم منذ الأزل على أكتاف أربع عائلات قوية .. عائلة (فهمان) ، التى أنتمى إليها .. وعائلة (هنداوى) ، التى ينتمى إليها (وهبة) .. وعائلة (سلطان) .. وعائلة (الحمزاوى) .. وفى كل جيل كانوا يطلقون اسم (الأربعة الكبار) ، على أكبر أفراد كل عائلة .. وفى هذا الجيل أنا كبير عائلة (فهمان) ، و (حسان) هو كبير عائلة (هنداوى) ، و (إبراهيم) هو كبير عائلة (سلطان) ، و (فتحى) هو كبير عائلة (الحمزاوى) .. وقول (وهبة) يعنى أن أحد هؤلاء الثلاثة هو الذى أمر بقتل أخى .

ردَّد (عصام) فى هدوء ، وكأنما يحاول استيعاب كل ذلك القدر من المعلومات .

ـــ (حسان هنداوى) ، و (إبراهيم سلطان) ، و (فتحى الحمزاوى) .

وافقه (عبد الغفار) بإيماءة من رأسه ، ثم قال :

ــ واتهام أحدهم هو أمر بالغ الخطورة ، قد يؤدى إلى إشعال نيران حرب لا هوادة فيها ، تسيل لها الدماء أنهارًا على أرض (حمرة دوم) ، ولا يعلم إلا الله (سبحانه وتعالى) وحده متى تخبُو النيران ، وتجف الدماء .

ثم اكتسبت لهجته صرامة الفولاذ ، وهو يستطرد :

ــ إلا إذا وجدنا دليلًا يدين أحدهم ، أمام مجلس الأربعة الكبار .

لم يكد يتم عبارته ، حتى دخل أحد رجاله إلى الساحة ، وهو يقول فى احترام :

ــ هناك ضابط شرطة يطلب مقابلتك يا عمدة .

التفت إليه العمدة فى هدوء ، وقال :

ــ دَعْه يدخل على الرحب والسعة .

تعلَّقت عينا (عصام) بباب المكان ، فى انتظار قدوم ضابط الشُرطة ، ولم يكد يراه ، وهو يعبُر الباب بثيابه المدنية ، حتى تهلَّلت أساريره ، وهتف فى مزيج من الفرح والدهشة :

ــ العقيد (خيرى) ؟!. يا لها من مفاجأة !!

اندفع كل منهما نحو الآخر ، وتصافحا فى حرارة ، ثم هتف العقيد (خيرى) :

تعلَّقت عينا (عصام) بباب المكان ، فى انتظار قدوم ضابط الشرطة ، ولم يكد يراه ، وهو يعبر الباب بثيابه المدنية حتى تهلَّلت أساريره ..

ـ بل المفاجأة من نصيبى أنا يا (عصام) .. لقد أخبرنى (عماد) و (عُلا) بالأمر كله ، استقللْتُ أول طائرة إلى (الأقصر) ، واستعرت واحدة من سيارات الشُرطة هناك إلى (دشنا) ، واستغرق الأمر ساعة كاملة للوصول منها إلى هنا .. ولقد كنت أتوقَّع أن أجدك جثة هامدة ، فإذا بى أراك سليمًا معافى .

غمغم العمدة (عبد الغفار) فى هدوء :

ـ لا خوف على الغرباء المسالمين فى (حمرة دوم) يا حضرة الضابط .

التفت إليه العقيد (خيرى) يصافحه فى حرارة ، وهو يقول معتذرًا :

ـ معذرة يا عمدة .. لقد شغلتنى مفاجأة لقائى بـ (عصام) عن واجبات اللياقة ، كان ينبغى أن أصافحك أوَّلًا .

ابتسم العمدة فى هدوء ، وهو يقول :

ـ لا عليك يا حضرة الضابط .. انك هنا على الرَحب والسَعة .

ثم استدرك فى صرامة :

ـ ما دمت ضيفًا .

ابتسم العقيد (خيرى) قائلًا :

ـ إننى لست هنا بغرض الضيافة فى الواقع يا عمدة ، ولكننى هنا للتحقيق فى قضية مصرع رجل يدعى (مرزوق) و ....

قاطعه العمدة فى صرامة :

ـ إنه شقيقى (رحمه الله) أيها الضابط .. ونحن هنا لا نقبل تَدخُّل الشُرطة فى شئوننا ، فلنا قانوننا الخاص ، وسنقتص من القاتل بوسائلنا .

جلس العقيد (خيرى) ، وهو يقول فى هدوء :

ـ هل تستنكر مصرِيَّتك أيها العمدة ؟

هتف العمدة فى صرامة :

ـ كلَّا بالطبع .. إننى أفخر بها .

ابتسم العقيد (خيرى) ، وهو يقول :

ـ هذا يلزمك إذن بطاعة القانون المصرى ، الذى يفترض أنك تمثِّله فى منصب العمدة .

صمت العمدة لحظات ، ثم عاد يقول فى صرامة :

ـ ولكن القتيل هو شقيقى .

قال العقيد (خيرى) بنفس الهدوء :

ــ هذا لا يمنحك حقّ تطبيق العدالة أيها العمدة .

ثم مال نحوه مستطردًا فى حزم :

ــ ثم إن الشخص الذى قتل شقيقك أراق دماء العشرات من الضحايا أيضًا .

حدَّق (عصام) فى وجهه بدهشة ، فى حين سأله العمدة فى تردُّد :

ــ ماذا تعنى ؟

وهتف (عصام) :

ــ هل تعنى ذلك الخاطر المرعب ، الذى دار بخلَدى ، حقًّا يا سيادة العقيد ؟

أومأ العقيد (خيرى) برأسه إيجابًا ، وهو يقول :

ــ نعم يا (عصام) .. إنه استنتاج (عماد) و (عُلا) .. وأنا أثق فى استنتاجاتهما ثقتى فيما تراه عيناى ..

غمغم (عصام) فى ذُعر وذهول :

ــ يا إلهى !!

تنهَّد العقيد (خيرى) فى أسف ، ثم التفت إلى العمدة قائلًا :

ــ إن حادث قطار الصعيد البشع هذا لم يحدث ، ولم يقع إلا لغرض واحد .

واكتسب صوته غضبًا وصرامة وأسفًا ، وهو يستطرد :

ــ إخفاء عملية قتل شقيقك يا (عمدة) ..

* * *

٨ ــ البشـــاعة ..

هتف (عصام) فى مزيج من الدهشة والاستنكار :

ــ مستحيل يا سيادة العقيد .. مستحيل .. من ذا الذى يقدم على ارتكاب جريمة بشعة كهذه ، من أجل قتل رجل واحد ؟

أجابه العقيد (خيرى) فى ضيق :

ــ هذا هو السؤال نفسه ، الذى ألقيته على مسامع (عماد) و (عُلا) ، حينما أخبرانى باستنتاجهمـــا هذا .. ولكنهما أقنعانى باستدلالاتهما المنطقية .. فالحادث ــ كما قلت ــ لم يُفتعل لقتل (مرزوق) ، وإنما لإخفاء قتله .. فالقاتل قام بخنقه حتى الموت ، مستترا بالظلام فى عربة القطار ، ثم غادر العربة إلى عربة أخرى ، فى مقدمة القطار ، وانتظر وقـــوع الحادث ، ليضاف اسم (مرزوق) إلى أسماء باقى الضحايا ، دون أن يجول بخاطر أحد أنه قد قُتِل عمدًا .

ثم اعتدل مستطردًا فى اهتمام :

ــ دعونا نراجع ما لدينا منذ البداية .. لقد ارتكب أحدهم حادث القطار عمدًا ، دون أن ينتمى إلى منظمة إرهابية ، بدليل عدم إعلان أيَّة منظمة عن مسئوليتها عن الحادث ، وبدون غرض محدود واضح .. ولقد أثبت الخبراء وجود إتلاف متعمَّد بالسلاسل التى تُوصل العربات بعضها ببعض ، فى حين لم يُفد الحادث أحدًا ، باستثناء القاتل ، الذى قتل (مرزوق) .

ومن الواضح أن هذا القاتل شديد القسوة والحذر ، مبالغ فى حرصه ، عديم الرحمة والمبادئ .. ومن الواضح أيضًا أنه كان يبتغى التخلُّص من (مرزوق) ، دون أن يبدو مصرعه مقصودًا لغرض ما .. لذا فقد حطَّم السلاسل ، وخنق الرجل أوَّلًا ، ليتأكَّد من مصرعه ، خشية أن ينجو من الحادث ، وبعدها لم يرمش له جفن ، حينما وقع الحادث ، وراح العشرات ضحيته ، ولا ريب أنه قد عاد إلى هنا مطمئنًا ، بعد أن سلب ضحيته أوراقها ، ليضمن عدم تعرُّفها ، والاكتفاء بدفن الجثة باعتبارها جثة أحد ضحايا الحادث ..

ولكن عين الله (سبحانه وتعالى) لا تغفل ولا تنام ؛ لذا فقد شاء (سبحانه) أن ينتبه الدكتور (على) إلى مقتل (مرزوق) خنقًا ، ويسعى (عصام) لكشف لُغز مصرعه ، فتنهار خُطَّة القتلة ، وتنقلب على أعقابها .

غمغم العمدة فى ألم وغضب :

ــ ولكن من ؟.. من فعل هذه الفعلة البشعة ؟

سأله (عصام) بغتة فى اهتمام :

ــ هل لديك هاتف هنا أيها العمدة ، يمكننى بواسطته إجراء مكالمة مع (القاهرة) ؟

أجابه العمدة فى دهشة :

ــ نعم .. إن هاتفى يتصل بمركز شرطة (دشنا) ، ويمكنهم هناك توصيلنا بـ (القاهرة) .

غمغم العقيد (خيرى) فى اهتمام :

ــ أنا أضمن لك ذلك .

زفر (عصام) فى ارتياح ، وقال :

ــ فى هذه الحالة يمكنك دعوة مجلس الأربعة الكبار للانعقاد أيها العمدة ، وأعدك أن نكشف لك شخصية قاتل شقيقك ، قبل انتهاء المجلس .

حدجه العمدة بنظرة متشككة ، ثم لم يلبث أن تنهَّد ، وهو يقول فى حزم :

ــ نعم .. سأدعو الأربعة الكبار .. وويل لقاتل أخى !! ويل له !!

* * *

من المثير حقًا أن يحظى المرء بحضور مجلس الأربعة الكبار فى (حمرة دوم) .. فمكان الاجتماع يتحوَّل إلى ترسانة أسلحة ، يذخر فيها بأنواع من الأسلحة المحظور حملها لغير العسكريين ، كالبنادق الآلية ، والمدافع الرشاشة .. ويحيط رجال كل من الأربعة الكبار بمكان الاجتماع ، إحاطة السِّوار بالمعصم ، فى حين يجلس الأربعة أنفسهم وسط ساحة منزل الداعى ، يرشفون الشاى أوَّلًا ، ويتناولون الطعام المعدَّ بإتقان وسخاء ، قبل أن يبدأ حديثهم ، وتحتدم مناقشاتهم ..

وفى ذلك اليوم كان كبار العائلات الثلاث الأخرى ينتظرون فى قلق تصريح العمدة ، بسرِّ دعوتهم المفاجئة لعقد مجلسهم فى ساحة منزله ، إلا أن (عبد الغفار) أصرَّ على تناول الشاى أولًا ، وتقديم الطعام السخىّ الشهىّ للجميع ، كما اقتضت العادة ، دون أن يعرِّفهم (عصام) أو العقيد (خيرى) .. حتى رُفعت الصحاف ، وجلس الجميع على الأرائك ، انتظارًا لبدء النقاش والحوار ..

وهنا نهض العمدة ، ووقف وسط المكان ، وأشار إلى ضيفيه ، وهو يقول فى هدوء :

ــ قبل أن يبدأ مجلسنا ، أحبّ أن أقدِّم لكم أوَّلًا الأستاذ

(عصام كامل) الصحفى ، والعقيد (خيرى) من المباحث الجنائية .

سَرَت همهمة غاضبة بين كبار العائلات الثلاث ، وعقد (فتحى الحمزاوى) حاجبيه فى غضب ، وهو يقول :

ــ لقد جرت عاداتنا حقًا على احترام الضيف وتكريمه ، ولكن لم يحدث فى تاريخنا كله أن حضر غريب مجلسنا .

قال العمدة فى صرامة :

ــ سيختلف الأمر هذه المرّة .

ثم التفت إلى (عصام) ، مستطردًا فى حزم :

ــ أخبرهم ما لديك .

تنحنح (عصام) ، ثم شرح لهم الأمر منذ بدايته ، وانتهى فى شرحه عند اللحظة التى هددَه فيها (وهبة) بالقتل ، دون أن يشير إلى مصرع هذا الأخير وسائقه .. ولم يكد ينتهى حتى قال (إبراهيم سلطان) فى غضب :

ــ ومن أدرانا أنك تقول صِدْقًا يا فتى ؟

وقبل أن يجيبه (عصام) ، استطرد فى حَنَق :

ــ من أدرانا أنها ليست محاولة لبثّ الفتنة بين عائلات (حمزة دوم) ؟

أخرج (عصام) صورة (مرزوق) ، وألقاها وسطهم ، وهو يقول فى صرامة :

ــ هذه الصورة هى الدليل .. لقد التقطتها لـ (مرزوق) ، بعد أن صار جثة هامدة .

تناقل الثلاثة الصورة ، ثم أعادها (حسن هنداوى) فى هدوء ، وهو يقول :

ــ هذه الصورة تثبت فقط أن (مرزوق) ــ رحمه الله ــ قد مات ، ولكنها لا تشير بأى حال من الأحوال إلى أنه قد قُتل بأوامر أحدنا .

تدخّل العقيد (خيرى) ، قائلًا فى هدوء صارم :

ــ لدينا من الأدلّة القاطعة ما يؤكد كل كلمة نطق بها (عصام) أيها السادة .

حَدَجَه الثلاثة بنظرة غاضبة ، ثم لوَح (فتحى الحمزاوى) بذراعه ، هاتفًا :

ــ هل تعلم ما يعنيه هذا يا حضرة الضابط ؟

أجابه العقيد (خيرى) فى هدوء :

ــ نعم .. أعلمه .. ومهما كانت النتائج ، لابدَّ أن تأخذ العدالة مجراها .

أخرج (عصام) صورة (مرزوق) ، وألقاها وسطهم ، وهو يقول في صرامة :

— هذه الصورة هي الدليل ..

ارتفع صوت العمدة شديد الصرامة ، وهو يقول :

— لقد تأكَّدت من كل كلمة نطق بها الصحفى أيها الكبار .. إن أحدكم هو الذى أمر بقتل أخى .

هتف (إبراهيم سلطان) فى سخط :

— كيف تجرؤ ؟!

قاطعه العمدة فى صرامة :

— إنها الحقيقة .

ارتسم الوجوم على وجوه الثلاثة ، وتبادلوا نظرات ملؤها القلق ، قبل أن يسأله (حسن) فى توتُّر :

— مَنْ مِنَّا فعل ذَلِكَ إذن ؟

تدخَّل (فتحى) قائلًا فى صرامة :

— لو أن (مرزوق) قد قُتل حقًّا ، فهذا يعنى أن واحدًا منَّا فقط أمر بذلك .

ثم أشار إلى (حسن) مستطردًا :

— أنت .

عقد (حسن) حاجبيه فى غضب ، وهو يقول :

— ولماذا أنا بالذات ؟

أجابه (فتحى) فى حدَّة :

ـ بسبب الثأر القديم بين عائلتك وعائلة (فهمان)

هتف (حسن) فى استنكار :

ـ ولكن هذا أمْرٌ قديمٌ ، انتهى منذ سنوات ، بعد مجلس الصلح الذى عقدناه مع عائلة العمدة !!

ثم صاح فى غضب :

ـ ولِمَ لا يكون أنت يا (فتحى) ، بسبب قطعة الأرض ، التى أردت شراءها من (مرزوق) ، فرفض .

ارتبك (فتحى) ، وهو يقول :

ـ إننى لن أقتل رجلًا من أجل بضعة أفدنة .. ثم إننى كنت أظنه يحتاج إلى النقود ، حينما تقدَّمت إليه بهذا العرض .

تدخَّل العمدة ، قائلًا فى اعتراض :

ـ لم يكن شقيقى (رحمه الله) بحاجة إلى النقود .. لقد ترك لدى عشرة آلاف جنيه ، قبل أن يسافر إلى القاهرة فجأة .

هتف الكبار الثلاثة فى دهشة :

ـ عشرة آلاف جنيه ؟؟

ثم تساءل (إبراهيم) فى اهتمام :

ـ هل باع درَّاجته البخارية ؟

حدَّق العمدة فى وجهه بدهشة ، وهو يقول :

ـ أيَّة دراجة بخارية ؟.. إنه لم يمتلك يومًا مثلها .

ظهرت الحَيْرة على وجه (إبراهيم) ، وهو يقول :

ـ عجبًا !!.. لقد رأيته يومًا يقود درَّاجة بخارية .

غمغم (فتحى) فى توتُّر :

ـ لا أظن (مرزوق) امتلك يومًا درَّاجة بخارية .

ثم استطرد فى حَنَق :

ـ ثم إننى أستأجر بالفعل قطعة الأرض ، التى ادعيتم قتلى له لشرائها ، وأنتم تعلمون أن مستأجر الأرض الزراعية بمثابة مالكها .

سأله العقيد (خيرى) بغتة :

ـ ولكنك اعترفت منذ لحظات بأنك عرضت عليه شراءها !

زفر (فتحى) فى ضيق ، وقال :

ـ كنت أظنه بحاجة إلى نقود ، وكانت محاولة لنقده إيَّاها ، دون جرح كرامته .

غمغم العمدة فى صوت عميق :

ـ أظنه صادقًا ، فقطعة الأرض تلك فى منطقة نائية بعيدة ،

وليس من المنطقى أن يفكّر (فتحى) فى شرائها حقًا ، ما لم يكن هذا هو دافعه .

قلب (عصام) كفيه فى حَيْرة ، وهو يقول :

ــ إن هذا يزيد الغموض ، بدلًا من أن يزيله .. فنحن لم نعلم بعد كيف حصل (مرزوق) على العشرة آلاف جنيه ؟!

التفت العقيد (خيرى) إلى العمدة ، يسأله فى اهتمام :

ــ هل كان شقيقك الراحل يملك دخلًا إضافيًا ، إلى جانب عمله فى صناعة الأحذية ؟

هزَّ العمدة رأسه نفيًا قبل أن يقول فى أسف :

ــ قيمة إيجار الأرض فحسب ، وهى لا تكفى لذلك البذخ ، الذى انتابه فجأة فى الشهرين الماضيين .

غمغم (عصام) فى ضيق :

ــ ها هى ذى نقطة جديدة تضاف إلى غموض الموقف .

ثم نهض ، قائلًا للعمدة :

ــ هل تسمح لى بإجراء المكالمة الهاتفية مع (القاهرة) ؟

أشار إليه العمدة قائلًا :

ــ تفضل على الرَّحب والسَّعة .

اتجه (عصام) والعقيد (خيرى) إلى الحجرة المخصَّصة للهاتف ، وقبل أن يغادراها التفت (عصام) إلى الكبار الثلاثة ، وقال فى برود :

ــ فليستعد القاتل أيها السادة ، فحينما أعود ، ستكون نهايته قد حانت .

ثم أغلق الباب خلفه فى هدوء مثير ..

★ ★ ★

٩ ــ كلمة الفريق ..

قفز (عماد) و (عُلا) فى لهفة ، يلتقطان سمَّاعة الهاتف ، فور ارتفاع رنينه ، وابتهج قلباهما حينما سمعا صوت (عصام) ، وهو يقول :

ــ مرحبًا يا صديقىَّ .. إنه أنا (عصام) .

هتف الاثنان فى آن واحد :

ــ حمدًا لله على سلامتك يا أستاذ (عصام) .. هل قابلت والدنا ؟

أجابهما فى هدوء :

ــ نعم .. إنه هنا .. إننا معًا فى (حمرة دوم) .

هتفت (عُلا) فى لهفة :

ــ هل من جديد ؟

أجابها فى اهتمام :

ــ نعم .. استمعا إلىَّ جيدًا .

ثم انطلق يقصّ عليهما كل ما حدث ، بكل التفاصيل ،

حتى الدقيقة منها ، منذ مغادرته (دشنا) مع (وهبة) ، وحتى اتصاله بهما هاتفيًا ، ثم أنهى حديثه قائلًا :

ــ والأربعة الكبار ينتظروننى الآن فى ساحة منزل العمدة ، وعلىَّ أن أخبرهم باسم القاتل ، أو نخسر اللُعبة كلها .

غمغم (عماد) فى توتُر :

ــ ولكن هذا أمر عسير يا أستاذ (عصام) .. إنك تطالبنا بحلّ اللُغز كله فى لحَظاتٍ !

أجابه فى مرح :

ــ إننى أثق بعقليكما يا (عماد) .

تبادل الاثنان نظرة قلقة ، ثم أجابه (عماد) :

ــ حسنًا يا أستاذ (عصام) .. سنحاول ، ولكن هل يمكنك انتظارنا لحظات ؟

أجابه فى هدوء :

ــ سأنتظر يا (عماد) .. سأنتظر .

وضع (عماد) سمَّاعة الهاتف جانبًا ، وهو يقول لشقيقته فى قلق :

ــ هل يمكننا ذلك يا (عُلا) ؟

قالت فى حماس :

ـــ دَعْنا نحاول على الأقل .

ثم أردفت فى انفعال :

ـــ فلنراجع كل الأقوال والأحداث فى سرعة ، فقد يبرز لنا هذا الحلّ فجأة .

راحا يراجعان كل ما مرَّ بهما فى سرعة ، ويحاولان تنظيم الأحداث وترتيبها .. إلا أن الأمر بدا لهما شديد الصعوبة والتعقيد ، فغمغمت (عُلا) فى يأس :

ـــ لن يمكننا ذلك للأسف يا (عماد) ، فهناك أكثر من نقطة بلا تفسير منطقى .

تنهَّد قبل أن يغمغم فى مرارة :

ـــ يؤسفنى أن نعترف بهزيمتنا يا (عُلا) ، ولكن ما باليد حيلة .. سأخبر الأستاذ (عصام) أننا قد عجزنا عن التوصُّل إلى الحلّ هذه المرَّة .

زفرت (عُلا) فى قوة ، وهى تقول فى غضب :

ـــ يا إلهى !!.. لم أتصوَّر أبدًا أن نحصد الفشل يومًا .

غمغم (عصام) فى حزن ، وهو يلتقط سمَّاعة الهاتف :

ـــ نعم يا (عُلا) .. إننا لم نحصد هذه المرَّة سوى الـ ....

وبتر عبارته فجأة ، وهو يلتفت إلى شقيقته بحركة حادَّة ، وسمعها تهتف فى انفعال :

ـــ (عماد) .. لقد توصَّلت إلىّ الحلّ .

هتف فى سعادة وظفر :

ـــ وأنا أيضًا يا (عُلا) .. إننا لم نفشل هذه المرَّة أيضًا .

ووضع سمَّاعة الهاتف على أذنه الصغيرة ، وهو يستطرد فى حماس :

ـــ أستاذ (عصام) .. لقد توصَّلنا إلى الحلّ .

* * *

زفر (فتحى الحمزاوى) فى ضيق ، وهو يلوِّح بكفِّه فى سخط ، قائلًا :

ـــ إنهما يَعْبثان بنا .. لست أصدِّق أنهما سيتوصَّلان إلى الحلّ بمكالمة هاتفية .

غمغم العمدة فى برود :

ـــ من يدرى ؟

هتف (حسن) فى حَنَق :

ـــ ما كان لنا أن نسمح للغرباء بالتدخُّل فى شئوننا !! مالنا نحن برجال الشُّرطة والصحافة !

ووضع سمَّاعة الهاتف على أذنه الصغيرة ، وهو يستطرد فى حماس :

ــ أستاذ (عصام) .. لقد توصلنا إلى الحلّ ..

أجابه العمدة فى هدوء :

ــ الشُرطة هى القانون يا (حسن) ، والصحافة هى كلمة الحق .

غمغم (إبراهيم) فى لهجة ساخرة ساخطة :

ــ هرَاء .

ثم نهض قائلًا :

ــ لقد عاشت (حمرة دوم) طيلة حياتها بلا شرطة أو صحافة ، وكانت تحل كل المشاكل بقانونها الخاص .

غمغم العمدة فى صرامة :

ــ دوام الحال من المُحَال يا (إبراهيم) .

لوَّح (إبراهيم) بكفِّه فى غضب ، وهو يقول :

ــ احتفظ برأيك لنفسك يا (عبد الغفار) .. أما أنا فسأغادر المكان ، ولن أنتظر عودة هذين الـ ....

بتر عبارته فجأة ، حينما رأى (عصام) والعقيد (خيرى) يعودان إلى الحجرة ، وسمع الأخير يقول فى هدوء :

ــ لقد عدنا يا سيِّد (إبراهيم) .

همهم (إبراهيم) بكلمات غير مفهومة ، وعاد إلى مجلسه فى سخط ، فى حين قال العمدة فى اهتمام وصرامة :

ـ هل توصّلتما إلى شيء ؟

أجابه (عصام) فى هدوء :

ـ نعم .

ثم تطلّع إلى وجوه الحاضرين لحظة ، قبل أن يستطرد فى صرامة :

ـ لقد قال الفريق كلمته ، وتوصّل إلى اسم القاتل ، واسم المجرم الذى تسبّب فى حادث (قطار الرُعب) .

* * *

دوت عبارة (عصام) كالرصاصة فى ساحة منزل العمدة ، وارتسمت لها الدهشة فى وجوه الحاضرين ، وران الصمت على المكان طويلًا ، قبل أن يهتف العمدة فى لهفة :

ـ من هو يا أستاذ (عصام) ؟.. من الذى أمر بقتل أخى ؟

دار (عصام) بعينيه فى وجوه الثلاثة الكبار ، ثم قال فى هدوء :

ـ يمكنك أن تتأكّد أولًا أنه ليس (حسن هنداوى) ، على الرغم من الثأر بين عائلتيكما منذ سنوات ، فجرائم الثأر تتسم عادةً بالعلانية ، وحتى لو قيّدت ضد مجهول ، يكون

الفاعل دائمًا معروفًا لعائلة القتيل ، التى ترفض إبلاغ الشرطة ، وتحتفظ باسمه سرًا ، حتى تقتص لنفسها .. والفاعل فى جرائم الثأر لا يلجأ أبدًا لإخفاء مسئوليته عنها ، فهو يرتكبها فى زهو وإصرار ، متصوّرًا أنه يحقّق العدالة ، دون أن يدرى أنه يتحوّل بدوره إلى مجرم طريد العدالة .

هتف (إبراهيم) فى سخط :

ـ إذن فالقاتل هو أنا أو (فتحى) .

ابتسم (عصام) فى غموض ، وهو يقول :

ـ انتظر يا سيّد (إبراهيم) ، وستعرف كل شيء بعد لحظات .

ثم استطرد فى هدوء :

ـ هناك عدة حقائق ينبغى أن نذكرها أوّلًا ، حتى تتضح الصورة ، وتعلمون من هو القاتل ..

والحقيقة الأولى هى أن (مرزوق) كان يمتلك درّاجة بخارية ، كما قال (إبراهيم) ، ولكن الجميع كانوا يجهلون ذلك ، حتى شقيقه العمدة ، فى حين لا يوجد مبرّر منطقى لإخفاء أمر كهذا .

والحقيقة الثانية هى أن (مرزوق) كان يملك عشرة آلاف جنيه ، يعجز الجميع عن تحديد مصدرها ، بعد أن ظهرت عليه

علامات الرخاء فجأة منذ شهرين .. والحقيقة الثالثة هى أن (مرزوق) قد قُتل بهدف آخر خلاف الثأر ..

والآن دعُونا نرتب هذه الحقائق ، فنجد أمامنا نتيجة مؤسفة ، وهى أن (مرزوق) كان يزاول عملاً غير مشروع .

هتف العمدة مقاطعًا (عصام) فى غضب :

ــ ما هذا الهراء ؟.. لقد كان أخى أشرف الشرفاء .

أجابه (عصام) فى هدوء :

ــ يؤسفنى أنك على خطإ أيها العمدة .. لقد كان شقيقك الراحل يزاول عملاً غير مشروع ، وهو ــ وبكل وضوح ــ ترويج المخدرات .

ارتسم الذهول على وجوه الجميع ، وهتف (فتحى) فى استنكار عنيف :

ــ أنت مخطئ أيها الصحفى .. مخطئ تمامًا .

التفت إليه (عصام) فى هدوء ، وهو يقول مبتسمًا :

ــ بالعكس يا سيّد (فتحى) .. أنت الوحيد الذى يثق فى صحة حديثى تمامًا .. لأنك فى الواقع الرجل الذى نبحث عنه .

ثم أردف فى صرامة :

ــ أنت قاتل (مرزوق) ، ومرتكب حادث (قطار الرعب) .

* * *

١٠ ــ الحقيقــة ..

شحب وجه (فتحى) ، ونقّل بصره فى وجوه الجميع فى ارتباك ، وحاول أن يبتسم فى سخرية ، إلا أن ابتسامته أتت أشد شحوبًا ، وأكثر ارتباكًا ، وهو يقول فى صوت متحشرج :

ــ هل جُننت أيها الصحفى ؟

أجابه (عصام) فى هدوء :

ــ بالعكس يا (فتحى) .. لقد استأجرت الأرض التى يملكها (مرزوق) منذ سنوات ، على الرغم من أنها تقع فى منطقة نائية معزولة ؛ لأنها كانت تناسبك .. فقد قرّرت أن تزرع الخشخاش ، الذى تستخرج منه المخدرات .. وحينما كشف (مرزوق) الأمر ، رأيت أنه من الأفضل أن تضمه إليك ، فابتعت له تلك الدرّاجة البخارية ، وجعلته يعمل لحسابك ، فى توزيع المخدرات ، مقابل أجر ضئيل ، وطلبت منه أن يخفى حيازته للدرّاجة البخارية ؛ لأنها مملوكة لك ، وحتى يمكنك أن تدّعِىَ سرقته لها ، لو تم ضبطه فى أثناء توزيعه المخدرات ..

وبعد سنوات قليلة ، بدأ (مرزوق) يتبرَّم من عمله ، ومن الأجر الضئيل الذى يحصل عليه ، وهددَك بكشف الأمر ، وإبلاغ السلطات ، ما لم تدفع له مبلغًا مناسبًا .. فما كان منك إلا أن عرضت عليه شراء الأرض بمبلغ خيالى ، إلا أنه رفض ، وفضَّل الاحتفاظ بالأرض ، والحصول على المال فى الوقت ذاته ..

وبدأ (مرزوق) يبتزَّك ، ويحصل منك على أموال طائلة فى الشهرين الأخيرين ، مما أتاح له حياة البذخ التى لاحظها الجميع ، ولكنك لم تحتمل ابتزازه لك ، وفكَّرت فى التخلُّص منه ، وخشيت فى الوقت ذاته أن تثور ثائرة عائلته ، وتقضى عمرها بحثًا عن قاتله ، فدبَّرت حادث القطار ؛ ليبدو وكأنه أحد ضحاياه ، وطلبت منه أن يسافر إلى (القاهرة) ، وأن يركب العربة قبل الأخيرة بالذات ، حتى يلتقى بعميل آخر ، يسلِّمه ما لديه من مخدرات ..

وفى القطار قام القاتل الذى أرسلته بمهمته الحقيرة ، وخنق (مرزوق) ، ثم انتقل إلى عربة أخرى ، وانتظر حتى حدث الحادث ، ثم عاد إليك ، ليبلغك بنجاح مهمته .

اتجهت الأنظار كلها إلى (فتحى) ، بعد أن انتهى

(عصام) من حديثه ، وازداد شحوب وجه هذا الأخير ، وهو يغمغم فى ارتباك شديد :

ــ هرَاء .. كل هذا مجرَّد هراء .

قال العقيد (خيرى) .. فى صرامة :

ــ حسنًا يا (فتحى) .. سنصدِّق أن كل هذا مجرَّد هراء .. هل تسمح لنا إذن بتفقُّد قطعة الأرض ، التى استأجرتها من (مرزوق) ، ورؤية ما تقوم بزراعته فيها ؟

امتقع وجه (فتحى) ، حتى بات فى بياض الشمع ، وهو يغمغم :

ــ قطعة الأرض ؟!.. إنها .. إنها ....

هدر صوت العمدة يقاطعه فى صرامة :

ــ إنها دليل براءتك يا (فتحى) .

ثم أردف فى حزم مخيف :

ــ أو دليل إدانتك .

تراجع (فتحى) فى ذُعر ، وهو يغمغم بصوت مختنق :

ــ إنهما كاذبان .. إنهما مخادعان .

وفجأة .. وبحركة سريعة ، انتزع مسدَّسه من غِمده ، وصوَّبه إلى الجميع صائحًا فى انفعال وتوتُّر :

ـ فليكن .. إنهما على حقّ ، ولكننى سأقتل أول من يتحرّك منكم .

* * *

ما حدث فى اللحظات التالية لذلك كان حقًا مثيرًا للدهشة والاهتمام ..

لقد تبادل العمدة نظرة صارمة مع (حسن) و (إبراهيم) ، ثم أدار الثلاثة عيونهم إلى (فتحى) ، الذى ارتجف المسدّس فى يده بقوة ، وهو يتراجع فى ذُعر ، كما لو أنهم الذين يصوّبون مسدّساتهم إليه ، وانتفض فى قوة ، حينما قال العمدة فى صوت له صلابة الفولاذ ، وقسوة الصلب :

ـ اخفض مسدّسك يا (فتحى) .

لم يخفض (فتحى) مسدسه فحسب ، وإنما تركه يسقط أرضا ، وهو يهتف فى ضراعة :

ـ لقد كنت مضطرًا يا عمدة .. لقد كنت مضطرًا .

أجابه العمدة بصرامته :

ـ إنك لم تقتل أخى فحسب يا (فتحى) .. لقد قتلت عشرات الأبرياء ، وحطّمت المئات غيرهم بسمومك .

هتف (فتحى) فى صوت ضارع مرتجف :

ثم أدار الثلاثة عيونهم إلى (فتحى) ، الذى ارتجف المسدس فى يده بقوة ، وهو يتراجع فى ذعر ..

ـ سأتنازل عن قطعة الأرض يا عمدة ، وسأدفع دية أخيك و ....

قاطعه العمدة فى غضب :

ـ لا تتوسّل .

سقطت رأس (فتحى) على صدره ، وبدا وكأنه يبكى فى صمت ، فى حين تنحنح العقيد (خيرى) ، قبل أن يقول فى هدوء :

ـ هل تسمح لى بإلقاء القبض عليه أيها العمدة ؟

حدجه العمدة بنظرة باردة ، ثم أشاح بوجهه وهو يقول :

ـ إنه سيهرب .

عقد العقيد (خيرى) حاجبيه فى صرامة ، وهو يقول :

ـ لن يهرب أيها العمدة .. إنه هنا ، ومنزلك محاصر برجالكم ، كما لو كان حصنًا حصينًا .

غمغم العمدة فى هدوء :

ـ ولكنه سيهرب .

ثم التفت إلى (فتحى) ، واستطرد فى صرامة :

ـ اهرب يا (فتحى) .

زاغت عينا (فتحى) ، ودارتا فى محجريهما ، وبدا صوته مليئًا بالرعب ، وهو يقول :

ـ لا يا عمدة .. أرجوك .. إننى ....

قاطعه العمدة فى صرامة قاسية :

ـ اهرب يا (فتحى) .

حاول العقيد (خيرى) أن يلتقط مسدسه ، وهو يهتف فى غضب :

ـ إننى لن أسمح له .

قبض العمدة على معصم العقيد (خيرى) فى قوة ، وهو يقول فى صرامة :

ـ اتركه يا سيادة العقيد .. إنه لن يذهب بعيدًا .

غمغم العقيد (خيرى) فى دهشة :

ـ ولكن ....

وبتر عبارته فى حَيْرة ، وهو يتطلّع إلى (فتحى) ، الذى بدا وكأنه قد هَرِمَ فجأة ، وهو يستدير بكتفين متهدّلتين ، ويدفع باب الساحة ، ليغادر منزل العمدة فى خطوات متثاقلة منهارة ، والكبار الثلاثة يتابعونه بنظرات صارمة قاسية ، حتى أغلق الباب خلفه ، ثم ران صمت ثقيل على المكان ، قطعه العقيد (خيرى) وهو يهتف فى حَنَق :

ـ كيف تسمحون له بالخروج ؟.. إنه قاتل .

أجابه العمدة فى هدوء :

ــ لا عليك يا حضرة الضابط ..

ثم مال نحوه مستطردًا فى بساطة :

ــ هل ترغب فى تناول الشاى مرَّة أخرى ؟

حدَّق العقيد (خيرى) فى وجهه بدهشة ، وهو يهتف :

ــ الشاى ؟!.. أى شاى ؟!.. إننا نتحدث عن قاتل طليق ، وينبغى أن ....

قبل أن يتم عبارته ، دوَّى صوت رصاصة ، تردَّد صداها فى المكان لحظة ، ثم ساد السكون ، فهتف العقيد (خيرى) فى توتُّر :

ــ ماذا هناك ؟

تبادل العمدة نظرة غامضة مع (حسن) و (إبراهيم) ، ثم قال فى هدوء :

ــ لا تهتم كثيرًا يا سيادة العقيد .. ربما كان أحدهم يقوم بتنظيف مسدس غير مرخَّص ، فانطلقت منه رصاصة أصابته فى مقتل .

اتسعت عينا العقيد (خيرى) ، وهو يغمغم فى جزَع :

ــ أحدهم ؟!.. هل تقصد ....؟

قاطعه العمدة فى هدوء :

ــ إن هذا كثيرًا ما يحدث هنا ، كما أن حمل المسدَّسات غير المرخَّصة يخالف القانون .. أليس كذلك ؟.

كاد العقيد (خيرى) يعترض غاضبًا مرَّة أخرى ، لولا أن أمسك (عصام) بكتفه ، وهو يقول فى هدوء :

ــ رُوَيْدك يا سيادة العقيد .. هناك عشرات الوجوه للعدالة .

ثم التفت إلى العمدة ، وابتسم وهو يستطرد فى بساطة :

ــ أعتقد أننا سنتناول مزيدًا من الشاى يا حضرة العمدة ، فقد انتهت القضية ، ولم يعُد هناك ما نفعله فى حادث (قطار الرعب) .

عقد العقيد (خيرى) حاجبيه ، وهو يغمغم :

ــ نعم .. لم يعد هناك ما نفعله .

ثم ابتسم وهو يستطرد :

ــ لا بأس .. سنتناول مزيدًا من الشاى .

* * *

١١ ــ الختام ..

جلس (عصام) فى مكتبه بالجريدة شاردًا ، يفكر فيما حدث منذ حادث القطار ، وحتى النهاية التى لم يتوقعها أحد فى (حمرة دوم) .. وأمسك قلمه يداعب به أوراقه ، ويخط به بضعة خطوط بلا معنى فوقها ، حتى سمع رئيسه يقول ضاحكًا :

ــ ماذا هناك ؟.. أهى قضية أخرى ؟

حاول (عصام) أن يبتسم ، إلا أن ابتسامته بدت شاحبة ، وهو يغمغم :

ــ إننى لم أحسم القضية السابقة بعد .

رفع رئيسه حاجبيه فى دهشة ، وهو يقول :

ــ كيف يمكنك أن تقول ذلك يا (عصام) ؟ .. لقد نجحت فى تغطية حادث القطار إلى أقصى حدّ ، حتى أن رئيس التحرير قد قرَّر منحك مكافأة خاصة .

وضع (عصام) قلمه ، وهو يقول :

ــ إن ما تقول إننى نجحت فى تغطيته هو بداية القضية فحسب ، أما ما حدث بعد ذلك فهو أمر مذهل .

امتلأ صوت رئيسه باللهفة ، وهو يجلس إلى جواره ، ويسأله قائلًا :

ــ ماذا حدث يا (عصام) ؟

لوَّح (عصام) بكفه ، وهو يقول فى شرود :

ــ عشرات الأحداث ، التى تبدو الآن وكأنها لم تكن سوى حُلم أو كابوس .. أقول طبيب شرعى عبقرى مخلص ، ورحلة إلى الصعيد ، وبحث عجيب ، ومدافع رشاشة و ....

قاطعه رئيسه فى دهشة :

ــ ما هذا يا (عصام) ؟.. إنه فيلمٌ سينمائىٌّ .

ابتسم وهو يغمغم :

ــ نعم .. إنه يبدو كذلك .

ثم استطرد فى اهتمام :

ــ هل أكتب كل ما حدث ؟

عقد رئيسه حاجبيه مفكرًا بعض الوقت ، ثم قال :

ــ بالطبع .. اكتب أى شىء ما دام حقيقة ، وما دمت قد عشت أحداثه بنفسك .

تنهَّد (عصام) ، وهو يقول :

ــ هل تظن ذلك ؟

أجابه رئيسه فى حماس :

ــ بالطبع .

ثم ربَّت على كتفه قائلًا :

ــ هيَّا .. ابدأ الآن ، وسأكون أوَّل من يقرأ تحقيقك هذه المرَّة .

ومنحه ابتسامة مشجعة ، ثم مضى إلى مكتبه ، فابتسم (عصام) ، وتناول سمَّاعة هاتفه ، وطلب رقمًا طويلًا ، وانتظر حتى جاءه صوت محدِّثه ، فابتسم قائلًا :

ــ كيف حالك يا دكتور (على) ؟.. أنا (عصام) .

واتسعت ابتسامته وهو يستمع إلى ترحاب الدكتور (على) الحار ، وتناول قلمه ليخُطَّ به عنوان التحقيق ، وهو يقول :

ــ استمع إلىَّ يا صديقى (ع × ٤) .. سأقص عليك القصة بالتفصيل .

وقرأ العنوان الذى كتبه ، وابتسم وهو يقرؤه قائلًا :

ــ قصة (قطار الرعب) ..

* * *

[تمت بحمد الله]

مغامرات ع × ٢ عماد وعلا

سلسلة ألغاز بوليسية مثيرة للناشئين تنشط العقل وتنمي الفكر والذكاء..

المؤلف

د. نبيل فاروق

قضية قطار الرعب

- حادث قطار رهيب ، تسقط فيه عشرات الضحايا.. وبينهم رجل ذهب ضحية لحادث قتل مُتعمّد .. من قتله ؟.. ولماذا ؟.. وكيف ؟
- تُرى .. كيف يحل فريق (ع × ٢) لُغز هذه القضية الجديدة..؟
- اقرإ التفاصيل ، وحاول أن تسبق (عماد) و (علا) إلى حل اللُغز .

الناشر
المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع
١ شارع سقاية الحارة - القاهرة - ت ٥٥٥٥٥٥٩

الثمن فى مصر ٦٠ قرشًا
وما يعادل دولارًا أمريكيًا
فى سائر الدول العربية والعالم

العدد القادم

(قضية السجين الهارب)